الصورة الفنية
في
البلاغة العربية

أ.د/عبدالحميد هنداوي

أستاذ ورئيس قسم البلاغة والنقد الأدبي والأدب المقارن

وأستاذ التحقيق ومناهج البحث

بكلية دار العلوم- جامعة القاهرة

دار الهانى للطباعة والنشر

٠٢٤٤٤٤٢٠٥٥

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي الكتاب

لعل ما نحاول الوقوف إزاءه في هذا الكتاب يعدُّ بحق هو أزهى ما يزدان به بستان البلاغة والفصاحة والبيان ؛ ولا نكون مخطئين إذا قررنا أن التصوير الفني للمشاعر والأفكار والأحاسيس هو الغاية الحقيقية لجميع فنون البلاغة وألوانها على اختلاف أقسامها التي انتهت إليها لدى المتأخرين ؛ حيث قسموها إلى علوم ثلاثة هي المعاني والبيان والبديع مع مقدمة في فن الفصاحة ، ولا شك أن هذه العلوم أو الفنون جميعها إنما تعنى ببيان طرق تصوير المعاني ، وعرضها في أبهى حلَّة ، وأحسن زينة ، وإذا كانت علوم البلاغة كلُّها تهتم – في رأيي – بتحقيق ذلك ؛ فإن علم البيان هو وحده من بين هذه العلوم الذي اختصوه بدراسة فنون البيان التصويري ، أو التصوير البياني كما يحلو لي أن أسميه ؛ حيث إن هذا العلم وحده هو المختص بدراسة الصور البيانية المعهودة في التراث البلاغي من تشبيه واستعارة وكناية ومجاز مرسل .

وإذا كانت هذه الفنون هي بحق أزهى ما في بستان البلاغة ، أو هي – في الوقت نفسه – أروع آلات التصوير وأطوعها في يد المبدع الفنان ؛ فإنني أقرر بحق أن التصوير الفني – على عمومه واتساعه لا يقف عند حدود هذه الصور

الجزئية المحدودة؛ فأدوات التصوير وآلاته هي الكلمات على عمومها حقيقة كانت أو مجازا ، وقد يصور مبدع بالحقيقة ما يعجز عن تصويره مبدع آخر بمختلف صور المجاز .

ومن ثم فإننا نقرر أن جمال الصورة وفنيّتها لا يقتصر على آلات التصوير البيانية المعهودة من التشبيه والاستعارة والكناية والمجاز المرسل ؛ وإنما يتعدَّى ذلك إلى آفاق بعيدة توظّف فيها جميع طاقات اللغة وإمكاناتها الصوتية والمعجمية والصرفية والنحوية والرمزية وغير ذلك.

وهذا ما سوف نعنى به في هذا الكتاب ؛ حيث نتناول علم البيان بمفهوم أوسع يقرّبه من مفهومه الذي عرف به قديما حيث يدلُّ على الإبانة والكشف والإيضاح وحسن التصوير للمعاني دون تقييد له بتلك الفنون الجزئية المحدودة ، وإن كنا لن نهمل دراستها – بطبيعة الحال – بل تتسع الدراسة لعرض أدوات التصوير الفنِّي على جميع مستويات اللغة الصوتية والمعجمية والصرفية التي تعنى بدراسة اللفظ دون التركيب الذي يختص بدراسته علم المعاني ، مع الدراسة المفصَّلة لفنون التصوير البياني وفق التخطيط المعهود وهي تشمل التشبيه والاستعارة والكناية والمجاز موازنين في ذلك كلِّه بين النظرية والتطبيق .

والله الموفِّقُ ، لا ربَّ سواه ، نسأله المعونة والسداد.

عبد الحميد هنداوي

تمهيد

مقدمة في

التعريف بعلوم الفصاحة والبلاغة

ذكرنا في المقدمة أننا سوف نتناول – في هذا الكتاب – التصوير الفني بمعناه الواسع الشامل الذي يقربه من علم البلاغة على عمومه وشموله لعلوم البلاغة الثلاث : المعاني والبيان والبديع ، مع ما يقدمون به من مقدمة في فن الفصاحة.

وذلك لإيماننا باتساع الصورة الفنية اتساعا تخرج به عن ذلك الإطار المحدود الذي وضعه البلاغيون لها وقيدوها بحدوده ، وهو إطار علم البيان وما يندرج تحته من فنون محدودة : هي التشبيه والاستعارة والمجاز والكناية .

ولذا فسوف نعرض هنا لمقدمة تعرف بعلوم الفصاحة والبلاغة ؛ حتى يقف القارئ لهذا الكتاب على علاقة كل من الصوير الفني والتصوير البياني بعلوم البلاغة المختلفة.

فى بيان معنى الفصاحة والبلاغة

أولاً: معنى الفصاحة

الفصاحة عند البلاغيين المتأخرين هى خلو اللفظ من تنافر الحروف والغرابة ومخالفة القياس، وخلو التركيب من ضعف التأليف وتنافر الكلمات والتعقيد.

قال القزوينى فى الإيضاح: "فالتنافر منه ما تكون الكلمة بسببه متناهية فى الثقل على اللسان، وعسر النطق بها، كما رُوى أن أعرابيا سُئل عن ناقته؛ فقال: تركتها ترعى الهُعخُع[1]. ومنه ما هو دون ذلك، كلفظ مستشزر فى قول امرىء القيس[2]:

---

(١) هذه الكلمة لا أصل لها فى اللغة، وقيل: هى اسم لضرب من النبات.

(٢) هو امرؤ القيس بن حجر بن حارث الكندى، من بنى آكل المرار، أشهر شعراء العرب على الإطلاق، يمانى الأصل، مولده بنجد أو بمخلاف السَّكاسك باليمن، كان أبوه ملك أسد وغطفان، وأمه أخت المهلهل الشاعر، لقنه المهلهل الشعر فقاله وهو غلام، عاش حياته لاهيًا إلى أن ثار بنو أسد على أبيه وقتلوه، فبلغ ذلك امرؤ القيس وهو جالس للشراب، فقال : " رحم الله أبى، ضيَّعَنى صغيرًا، وحمَّلَنى دمه كبيرًا، لا صحو اليوم ولا

غَدَائِرُهُ مُسْتَشْزِرَاتٌ إِلَى الْعُلاَ[٣].

سكر غدًا، اليوم خمر وغدًا أمر "، ونهض من غده فلم يزل حتى ثأر لأبيه من بنى أسد، وقال فى ذلك شعرًا كثيرًا، قصد قيصر الروم جوستنياس فى القسطنطينية لنصرته على الفرس فوعده ومطله، ثم ولاَّه إمرة فلسطين، فرحل يريدها، فلما كان بأنقرة ظهرت فى جسمه قروح فأقام بها إلى أن مات نحو ٨٠ قبل الهجرة . انظر ترجمته فى الأغانى طبعة دار الكتب العلمية- (٩/ ٣١٩)، والشعر والشعراء- (٣١)، والخزانة- (١/ ١٦٠).

(٣) الإيضاح- (١٢) بتحقيقى.

الغدائر: الذوائب جمع غديرة، والضمير عائد إلى الفرع فى البيت السابق، وهو قوله:

وَفَرْعٍ يَزِينُ المتْنَ أَسْوَدَ فَاحِمٍ أثيثٍ كَقِنْوِ النَّخْلةِ المتعثْكِلِ

مستشزرات: مرتفعات أو مرفوعات، وهى موضع الشاهد. وعجز البيت: تضل العقاص فى مثنى ومرسل.

وما أخذ على امرئ القيس فى هذا البيت من التنافر، أرى أنه ليس مخلاً بالفصاحة، بل أقرب ما يوصف به أنه تنافر فنى مقصود، أو لعله جاء تعبيرًا عن تصور الشاعر وتصويره لشَعْر محبوبته الذى وصفه بأنه (أثيث كقنو النخلة المتعثكل) فى البيت قبله، ومن ثم جاءت تلك الكلمة (مستشزرات) بهذا التنافر معبرة تمام التعبير عن كثرة هذا الشعر وارتفاعه وتعثكله وغير ذلك، فاللفظة بتنافرها تعبر عن تلك الصورة أدق تعبير، ومن ثم فإن الشروط التى اشترطها البلاغيون هنا لفصاحة الكلمة ليست مطردة لفصاحتها، وإلا فتأمل تلك الكلمات نحو (ضيزى- اثَّاقلتم – أنلزمكموها- فسيكفيكهم..الخ) وهى كلها كلمات قرآنية خلت من بعض تلك الشروط التى اشترطها البلاغيون لفصاحة الكلمة، فهل يصح بعد ذلك إطلاق الوصف بعدم فصاحتها؟ وما

والغرابة أن تكون الكلمة وحشية، لا يظهر معناها، فيحتاج فى معرفتها إلى أن ينقر عنها فى كتب اللغة المبسوطة، كما روى (عن) عيسى بن عمر النحوى أنه سقط عن حمار؛ فاجتمع عليه الناس؛ فقال: "مالكم تكأكأتم على تكأكؤكم على ذى جنة؟! افرنقعوا عنى" أى اجتمعتم تنحوا. أو يخرج لها وجه بعيد. كما فى قول العجاج:

وفاحمًا ومرسنا مسرَّجا

فإنه لم يعرف ما أراد بقوله "مسرجا" حتى اختلف فى تخريجه؛ فقيل: هو من قولهم للسيوف "سريجية" منسوبة إلى قين[4] يقال له سريج، يريد أنه فى الاستواء والدقة كالسيف السَّريجى، وقيل: من السِّراج، يريد أنه فى البريق كالسِّراج، وهذا يقرب من قولهم "سرج وجهه" بكسر الرَّاء –أى حسن، و"سَّرج (الله) وجهه" أى بهَّجه وحسَّنه[5].

قلناه هنا يصدق على باقى الشروط التى اشترطها البلاغيون لفصاحة الكلمة، وقد تناولت ذلك فى مبحث مطوَّل فى رسالتى للماجستير: الإمام الطيبى: تجديداته وجهوده البلاغية ط. المكتبة التجارية ـ مكة المكرمة، وانظر فى بيان فصاحة الأمثلة القرآنية السابقة مع التوسع فى التحليل انظر: كتابى "الإعجاز الصوتى فى القرآن الكريم"- ط. الدار الثقافية- القاهرة.

(٥) قين: حداد.

(5) الإيضاح- (١٢-١٣).

والمخالفةُ[٦] نحوُ:

الْحَمْدُ للهِ الْعَلِى الأَجْلَلِ[٧]

أما خلو الكلام من ضعف التأليف: "فالضعف كما فى قولنا "ضرب غلامُهُ زيدًا" فإن رجوع الضمير إلى المفعول المتأخر لفظًا ممتنع عند الجمهور؛ لئلا يلزم رجوعه إلى ما هو متأخر لفظًا ورتبة.

وأما التنافر فهو كقوله:

وَلَيْسَ قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرُ[٨]

وقوله[٩]:

كَرِيمٌ مَتَى أَمْدَحْهُ أَمْدَحْهُ والْوَرى مَعِى وَإِذَا مَا لُمْتُهُ لُمْتُهُ وَحْدِي

والشاهد فيه قوله: أمدحه أمدحه، قال القزوينى: فى الإيضاح فإن فى قوله: "أمدحه" ثقلا ما؛ لما بين الحاء والهاء من تنافر.

---

(٦) هى أن تكون الكلمة على خلاف قواعد الصرف.

(٧) البيت لأبى النجم الراجز. وبعده: "أنت مليك النَّاس ربّا فأقبل" والشاهد فيه كلمة (الأجلل) لأن الموافق لقواعد الصرف هو (الأجلّ) بإدغام اللامين.

(٨) أورده فخر الدين الرَّازى فى نهاية الإيجاز (١٢٣) بلا عزو. وصدره: "وقبر حرب بمكان قفر" وهو مجهول القائل. القفر: الخالى من الماء والكلأ.

(9) البيت لأبى تمام أورده فخر الدين الرازى فى نهاية الإيجاز (١٢٣) وجاء البيت برواية:

كريم متى أمدحه أمدحه والورى جميعًا ومهما لمته لمته وحدى

قلت: والاستشهاد والتوجيه هنا غير سديدين، وذلك لأنه كان يمكن قبول هذا التعليل لو كان يتحدث عن تنافر الحروف، ولكنه بصدد الحديث عن تنافر الكلمات.

والتعقيدُ: ألاَّ يكونَ الكلامُ ظاهرَ الدَّلالةِ على المراد؛ لخَلَلٍ:

١-إمَّا فى النظم: كقول الفرزدق فى خال هشام[١٠]:

وَمَا مِثْلُهُ فِى النَّاسِ إِلاَّ مُمَلَّكًا أَبُو أُمِّهِ حَى أَبُوهُ يُقَارِبُهْ

أى: ليس مِثله فى النَّاس حَى يقاربُهُ إلا مملَّكًا أبو أُمِّهِ أبوه.

مملكا: أى رجل أعطى الملك وهو هشام بن عبدالملك بن مروان والشاعر يمدح خاله إبراهيم بن هشام بن إسماعيل الخزومي، وهو يقصد أنه ليس في الناس من يشبه هذا الممدوح إلا ابن أخته الذي وصفه بقوله: "أبو أمه أبوه"؛ أي: أبو أمه هو أبو الممدوح، فأبو أمه: أى أبو أم هشام هو أبو الممدوح الذي هو خال هشام، وحاصله الإخبار بأن الممدوح لا مثل له فى الناس إلا ابن أخته الذى هو المملك.

قال القزوينى فى الإيضاح: "كان حقه أن يقول: وما مثله فى الناس حى يقاربه إلا مملكًا أبو أمه أبوه، فإنه مدح إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومى خال

---

(١٠) خال هشام بن عبدالملك بن مروان أحد ملوك بنى أمية، وخاله الممدوح إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومى.

هشام بن عبدالملك بن مروان، فقال: وما مثله —يعنى إبراهيم الممدوح- فى الناس حى يقاربه، أى أحد يشبهه فى الفضائل، إلا مملكا، يعنى هشاما، أبو أمه، أى أبو أم هشام أبوه، أى أبو الممدوح؛ فالضمير فى "أمه" للملك، وفى "أبوه" للممدوح، ففصل بين "أبو أمه" وهو مبتدأ و"أبوه" وهو خبره بـ"حى" وهو أجنبى؛ وكذا فصل بين "حى" و"يقاربه" وهو نعت حى بـ"أبوه" وهو أجنبى. وقدم المستثنى على المستثنى منه؛ فهو كما تراه فى غاية التعقيد.

٢- وإمَّا فى الإنتقال[١١]: كقولِ الآخَر[١٢]:

سَأَطْلُبُ بُعْدَ الدَّارِ عَنْكُمْ لِتَقْرُبوا وَتَسْكُبُ عَيْنَاى الدُّمُوعَ لِتَجْمُدَا

أى انتقال الذهن المعهود من جمود العين إلى بخلها بالدموع إنما يكون فى حالة الحزن والبكاء لا فى حالة الفرح والسرور.

(١/ ٢٠٥) قيل[١٣]: ومِنْ كثرة التّكرارِ، وتتابُعِ الإضافات؛ كقوله:

---

(١١) وهو ما يرجع إلى المعنى أى لخلل واقع فى انتقال الذهن من معنى اللفظ الأصلى إلى معنى آخر ملابس للأصلى قد استعمل اللفظ ليفهم منه ذلك الملابس على وجه الكناية أو المجاز.

(١٢) هو العباس بن الأحنف الشاعر الغزل المشهور. والشاهد فى قوله: لتجمدا.

سَبُوحٌ لَهَا مِنْهَا عَلَيْهَا شَوَاهِد[١٤]

وقوله[١٥]:

حَمَامَةَ جَرْعَا حَوْمَةِ الْجُنْدلِ اسْجَعِى...

جرعا: مقصور جرعاء ولها معانٍ كثيرة، أنسبها لبقية البيت أنها الكثيب جانب منه رمل وجانب منه حجارة، وحومة الشيء: معظمه، والجندل: أرض ذات حجارة، والسجع: هدير الحمام، والشاهد فى إضافة حمامة إلى جرعا وجرعا إلى حومة، وحومة إلى الجندل.

ويجدر التنبيه هنا إلى أن هذا ونحوه مما ذكر البلاغيون أنه مخل بالفصاحة غير لازم وذلك أن الكلام إذا كان صحيحًا من جهة الوضع اللغوى فلا يصح نفى الفصاحة أو البلاغة عنه أو إثباتها إلا باعتبار مناسبة السياق والمقام أو عدمه، ومن ثم نلاحظ أن المصنف فى الإيضاح قد اضطر إلى استثناء عدد من الأمثلة التى وردت على هذا النحو الذى زعم البلاغيون أنه مخل بالفصاحة، ومع ذلك

---

(١٣) أى فصاحة الكلام ترجع أيضًا إلى خلوصه من كثرة التكرار..... إلخ.

(١٤) مثال لكثرة التكرار. والبيت للمتنبى وصدره: وتسعدنى فى غمرة بعد غمرة، وسبوح أى فرس حسن الجرى لا تتعب راكبها، كأنها تجرى فى الماء.

(١٥) البيت فى الإشارات والتنبيهات- (١٣)، والتبيان للطيبى- (٢/ ٥٢٨) بتحقيقى، وعجزه:

فأنت بمرأى من سعاد ومسمعِ

فهى حسنة مقبولة لم يستطع أحد أن يصفها بعكس ذلك، فذكر من ذلك قول النبى ﷺ "الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم: يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم".

قال الشيخ عبدالقاهر قال الصاحب: إياك والإضافات المتداخلة فإنها لا تحسن، وذكر أنها تستعمل فى الهجاء، كقول القائل:

يا على بنُ حَمَزَةَ بن عَمِارَه أنتَ –واللهِ– ثَلْجَةٌ فى خِيارَه.

ثم قال الشيخ: ولاشك فى ثقل ذلك فى الأكثر، لكنه إذا سلم من الاستكراه ملح ولطف.

ومما حسن فيه قول ابن المعتز أيضًا:

وَظَلَّتْ تُديرُ الرَّاحَ أيدى عتاقٍ دَنانيرُ الوُجُوهِ مِلاحُ.

ومما جاء فيه حسنًا جميلا قول الخالدى يصف غلامًا له:

وَيَعرِفُ الشِّعْرَ مِثْل مَعْرِفَتى وَهُو على أنْ يزيدَ مُجتهدُ.

وصيرِفِى القريضِ وزّانُ دينارِ المعانى الدِّقاق، مُنتقدُ[16].

(16) الإيضاح- (٩-١٠).

ثانيًا: معنى البلاغة:

البلاغة فى الكلام: مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته[١٧].

يعد هذا التعريف من أفضل وأوجز تعريفات البلاغيين لعلم البلاغة وقد أوردت أكثر هذه التعريفات فى كتابى أضواء على مسيرة البلاغة العربية[١٨]، وأوردتها كذلك فى شرحى لكتاب الإيضاح، فمن هذه التعريفات تعريف أبى هلال العسكرى.

(البلاغة: كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه فى نفسه لتمكنه فى نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن.

على أن هذا التعريف قد خلا من مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

وعلى الرغم من أن تعريف أبى هلال لا يتعرض للمطابقة فإنه يركز على التصوير وهو ما اختصوا بدراسته علم البيان فيما بعد.

وأما ابن رشيق (ت٤٦٣هـ) فإنه يورد تعريفات للبلاغة معظمها وارد فى الكتب السابقة؛ ولكنَّه يتبع هذا كله بتعريف آخر يقول فيه: (والبلاغة: إهداء المعنى إلى القلب فى أحسن صورة من اللفظ).

---

(١٧) انظر: الإيضاح بتحقيقى- ط مؤسسة المختار- (١٩).

(١٨) (ص ٣٠ إلى ٦٧).

(فإذا انتقلنا إلى عصر استقرار التأليف البلاغى على يد السّكاكى (ت٦٢٦هـ) فإننا نجد أن البلاغة قد قسمت لديه إلى أقسام ثلاثة، ومن ثم كان لابد من وضع تعريف منطقى يشمل تلك الأقسام الثلاثة للبلاغة، فكان تعريفه لها بأنها هى: بلوغ المتكلم فى تأدية المعانى حدًا له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها، وإيراد أنواع التشبيه والمجاز، والكناية على وجهها.

وهنا نجده قد قصر البلاغة فى هذا التعريف على علمى المعانى والبيان، وكان مقتضى التعريف الجامع أن يشمل علم البديع، إلا أن السّكاكى يرى أن البديع ليس علمًا أصيلا من علوم البلاغة، ولكنَّه تابع للعلمين الأصليين وهما المعانى والبيان، لأنه لا فائدة له لديه سوى تحسين الكلام وتزيينه.

ويتبع السّكاكى على هذا التقسيم وهذا التعريف فريق البلاغيين المتأخرين الذين لم يحاولوا الخروج على ذلك التقسيم أو التعريف السّكاكى الذى سك به أبو يعقوب علوم البلاغة إلى يومنا هذا، فلم ينفك ذلك العلم مضروبًا بسكته إلى اليوم.

وبالتالى فهو لم ينص فى تعريفه للبلاغة على علم البديع بل لا يراه كذلك علمًا مستقلا، بل يجعله وجوهًا مخصوصة يصار إليها لقصد تحسين الكلام، حيث يقول بعد نهاية بحثه للمعانى والفصاحة: (وإذ قد تقرر أن البلاغة بمرجعيها وأن الفصاحة بنوعيها مما يكسو الكلام حلة التزيين ويرقيه أعلى درجات التحسين، فههنا وجوه مخصوصة كثيرًا ما يصار إليها لقصد تحسين الكلام، فلا علينا أن نشير

إلى الأعرف منها).

ولذا فهو لا يجعله علمًا مستقلا عن المعانى والبيان بل يجعله تابعًا لعلم المعانى وذلك كما يتضح من تعريفه السابق له.

وعلى الرغم من أن الخطيب القزوينى قد عرَّف بلاغة الكلام بأنها "مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته". وقد كان هذا التعريف يصلح أن يكون تعريفًا شاملا لأنواعها الثلاثة فإن الخطيب قد عاد فأخرج البديع كذلك عن دائرة البلاغة وكأنه مقحم فيها، أو تابع متطفل عليها. هذا على الرغم من جعله البديع علمًا مستقلا عن المعانى والبيان بعكس صنيع السَّكاكى حيث جعله تابعا لعلم المعانى، ومما يدل على إخراجه البديع من دائرة البلاغة أنه يقول بعد تعريفه لبلاغة الكلام "وإذ قد عرفت معنى البلاغة فى الكلام وأقسامها ومراتبها، فاعلم أنه يتبعها وجوه كثيرة –غير راجعة إلى مطابقة مقتضى الحال ولا إلى الفصاحة– تورث الكلام حسنا وقبولا". فهو بذلك يرى أن البديع لا يحقق سوى التحسين والتزيين وأنه لا يحقق غاية البلاغة التى ترجع إليها وهى مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وهو تعريف الخطيب نفسه للبلاغة[١٩].

---

(١٩) راجع تفصيل الكلام فى نظرة البلاغيين إلى علم البديع فى كتبنا: غاية الإيضاح شرح تلخيص المفتاح ط مكتبة البيان، وفى دراستنا على كتاب التبيان فى علمى المعانى والبيان للطيبى "جزآن"، وفى دراستنا للماجستير عن الطيبى وجهوده البلاغية ثلاثتها فى مكتبة نزار الباز بمكة المكرمة.

ورغم كثرة تعريفات البلاغيين لعلم البلاغة فإننا نختار من تلك التعريفات جميعًا تعريف الخطيب القزوينى لها، وهو (مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته).

غير أننا نرى أن يقتصر فيه على قولنا (مطابقة الكلام لمقتضى الحال) بحذف عبارة (مع فصاحته) وذلك لأنه لا فارق لدينا بين البلاغة والفصاحة والبيان والبراعة وكل ما شاكل هذه الألفاظ على ما رجحه الإمام عبدالقاهر[٢٥].

---

(٢٥) من الجدير بالذكر أن شيخ البلاغيين الإمام عبدالقاهر الجرجانى لا يفرق بين كل من مصطلحات الفصاحة والبلاغة والبيان والبراعة وما شاكل هذه الألفاظ. وهاك كلام عبدالقاهر فى هذا الصدد بنصه، قال فى دلائل الإعجاز: (فصل فى تحقيق القول على "البلاغة" و"الفصاحة"، و"البيان" و"البراعة"، وكل ما شاكل ذلك، مما يعبر به عن فضل بعض القائلين على بعض، من حيث نطقوا وتكلموا، وأخبروا السامعين عن الأغراض والمقاصد، ورامو أن يعلموهم ما فى نفوسهم؛ ويكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم.

ومن المعلوم أن لا معنى لهذه العبارات وسائر ما يجرى مجراها، مما يفرد فيه اللفظ بالنعت والصفة، وينسب فيه الفضل والمزية إليه دون المعنى، غير وصف الكلام بحسن الدلالة وتمامها فيما له كانت دلالة، ثم تبرجها فى صورة هى أبهى وأزين وآنق وأعجب وأحق أن تستولى على هوى النفس، وتنال الحظ الأوفر من ميل القلوب، وأولى بأن تطلق لسان الحامد، وتطيل رغم الحاسد، ولا جهة لاستعمال هذه الخصال غير أن تأتى المعنى من

الجهة التى هى أصح لتأديته، وتختار له اللفظ الذى هو أخص به، وأكشف عنه وأتم له، وأحرى بأن يكسبه نبلا، ويظهر فيه مزية.

وإذا كان هذا كذلك، فينبغى أن ينظر إلى الكلمة قبل دخولها فى التأليف، -وقبل أن تصير إلى الصورة التى بها يكون الكلم إخبارًا وأمرًا ونهيا واستخبارًا وتعجبًا، وتؤدى فى الجملة معنى من المعانى التى لا سبيل إلى إفادتها إلا بضم كلمة إلى كلمة، وبناء لفظة على لفظة- هل يتصور أن يكون بين اللفظتين تفاضل فى الدلالة حتى تكون هذه أدل على معناها الذى وضعت له من صاحبتها على ما هى موسومة به، حتى يقال إن "رجلا" أدل على معناها من "فرس" على ما سمى به وحتى يتصور فى الاسمين يوضعان لشيء واحد، أن يكون هذا أحسن نبأ وأبين كشفًا عن صورته من الآخر، فيكون "الليث" مثلا أدل على السبع المعلوم من "الأسد" وحتى أنا لو أردنا الموازنة بين لغتين كالعربية والفارسية، ساغ لنا أن نجعل لفظة "رجل" أدل على الآدمى الذكر من نظيره فى الفارسية؟.

وهل يقع فى وهم وإن جهد، أن تتفاضل الكلمتان المفردتان، من غير أن ينظر إلى مكان تقعان فيه من التأليف والنظم، بأكثر من أن تكون هذه مألوفة مستعملة، وتلك غريبة وحشية، أو أن تكون حروف هذه أخف وامتزاجها أحسن، ومما يكد اللسان أبعد؟.

وهل تجد أحدًا يقول: هذه اللفظة فصيحة إلا وهو يعتبر مكانها من النظم، وحسن ملائمة معناها لمعانى جاراتها، وفضل مؤانستها لأخواتها؟.

وهل قالوا: لفظة متمكنة، ومقبولة، وفى خلافه: قلقة، ونابية، ومستكرهة، إلا وغرضهم أن يعبروا بالتمكن عن حسنِ الاتفاق بين هذه وتلك من جهة معناهما، وبالقلق والنبو عن

ونحن نرجح هذا التعريف على غيره لأمور:

١-وجازة التعريف.

٢-كونه على وجازته جامعًا مانعًا، وذلك لأن مطابقة الكلام لمقتضى الحال تقتضى اختيار الألفاظ مع رعاية الأحوال المختلفة، مع العناية بكل الوسائل التعبيرية اللازمة لتحقيق تلك المطابقة، وذلك يشمل كل أنواع البلاغة والفصاحة المذكورة.

ونظرًا لأهمية هذا التعريف فسوف نوليه قدرًا من العناية بالشرح والبيان.

تعد فكرة "مطابقة الكلام لمقتضى الحال" الفكرة الجوهرية التى كان لها أثرها فى توجيه البحث البلاغى وتحديد كثير من مساراته، ونظرة إلى تراثنا البلاغى فى شتى عصوره تكشف لنا إلى أى حد بلغ الاهتمام بتلك المطابقة، تلك التى عدت غاية البحث فى علمى المعانى والبيان، حيث عرف الأول بأنه "علم يعرف به أحوال اللفظ العربى التى بها يطابق مقتضى الحال" وعرف الثانى بأنه

سوء التلاؤم، وأن الأولى لم تلق بالثانية فى معناها، وأن السابقة لم تصلح أن تكون لفقًا للتالية فى مؤداها)[عبدالقاهر الجرجانى: دلائل الإعجاز- تحقيق أ.د/ عبدالحميد هنداوى- ط دار الكتب العلمية- (٣٨-٣٩)]، وإذا كان عبدالقاهر لا يفرق بين الفصاحة والبلاغة وما شاكلهما فإن الثعالبى يقرر فى كتابه: "روضة الفصاحة" أن هذا هو ما عليه أكثر البلغاء .[روضة الفصاحة- (١٧)]

معرفة إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة فى وضوح الدلالة عليه ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ فى مطابقة الكلام لتمام المراد منه "بل لقد عرفت بها البلاغة كلها حيث قيل إنها "مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته".

أما مصطلح الحال فقد كان يرادف فى أغلب استعمالاته لدى البلاغيين مصطلحًا آخر هو المقام؛ فكل من المصطلحين يقصد به مجموعة الاعتبارات والظروف والملابسات التى تصاحب النشاط اللغوى أو تلابسه؛ ويكون لها (أو ينبغى أن يكون) تأثيرها فى ضوء ارتباطه بها وقد ترددت فى تراثنا العربى بصدد ضرورة هذا الارتباط تلك العبارة الذائعة "لكل مقام مقال".

لقد عرفت الحال فى تراثنا البلاغى بأنها: الأمر الداعى للمتكلم إلى أن يميز كلامه بميزة تعبيرية خاصة، ومعنى ذلك أن الأحوال أو المقامات هى مجموعة المؤثرات (غير اللغوية) التى تؤثر فى لغة الكلام البليغ بحيث تترك فيه بصمات أو ظواهر تعبيرية توائمها وتتنوع بتنوعها، والحال بهذا المفهوم يشمل أمورًا كثيرة منها:

أ-أحوال المخاطب:

فذكاء المخاطب أو غباؤه، وتردده أو إنكاره، وطبقته الاجتماعية وطبيعة ثقافته، وميوله وآراؤه المذهبية وعلاقته بالمتكلم أو بموضوع الكلام، وما إلى ذلك

–كلها أحوال ومقامات يتنوع الكلام بتنوعها، بل إن بلاغة الكلام لا تتمثل إلا فى مطابقته لها ومشاكلته إياها، هذا ما يقرره بشر بن المعتمر حيث يقول فى صحيفته: "ينبغى أن تعرف أقدار المعانى، فتوازن بينها وبين أوزان المستمعين وبين أقدار الحالات فتجعل لكل طبقة كلامًا..." وهو بعينه ما يصرح به السَّكاكى حيث يقول: "ومقام الكلام مع الذكى يغاير مقام الكلام مع الغبى ولكل ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر".

ب–طبيعة المعنى أو الغرض:

فلكل غرض من الأغراض ما يلائمه من صور وما يليق به من أشكال تعبيرية لا تليق بسواه، يقول القاضى الجرجانى موصيا بضرورة المشاكلة بين التعبير والغرض: "ولا آمرك بإجراء الشعر كله مجرى واحدًا ولا أن تذهب بجميعه مذهب بعضه، بل أرى لك أن تقسم الألفاظ على رتب المعانى فلا يكون غزلك كافتخارك، ولا مديحك كوعيدك، ولا هجاؤك كاستبطائك... بل ترتب كلا مرتبته، وتوفيه حقه، فتلطف إذا تغزلت، وتفخم إذا افتخرت، وتتصرف للمديح تصرف مواقعه".

ت-مجموعة الظروف والاعتبارات الخارجية الداعية إلى الكلام أو المصاحبة له:

من ذلك -مثلا- المناسبة التى قيلت فيها القصيدة، أو سبب نزول الآية الكريمة أو البيئة الزمانية والمكانية للنص، أو ما إلى ذلك من اعتبارات لا يمكن إغفال أثرها فى الكلام، أو ضرورة الوقوف عليها والاستئناس بها عند فهمه وتذوقه.

ث- أحوال المتكلم:

والواقع أن "حال المتكلم" هى المراد الأول والجوهرى للمطابقة، فالأحوال الثلاث السابقة هى بمثابة "الواقع الخارجى" للتجربة، ذلك الواقع الذى لا يكون العمل الفنى رصدًا آليا مباشرًا له، بل تصويرًا فنيًا لرؤية المبدع له، وانفعاله الخاص به، وموقفه المنفرد منه.

ومن ثم ندرك أن الحال هى الباعث للمتكلم إلى أن يميز كلامه بخصوصية تعبيرية ما، وهذه الخصوصية التعبيرية هى ما سماها السَّكاكى وغيره فى تعريف المعانى السابق بخواص التراكيب، وهذه الخواص هى ما يقتضى الحال ذكره، أو ما يعرف بمقتضى الحال حسب اصطلاح هؤلاء البلاغيين.

وتلك الخواص أو المقتضيات هى التى عرضوا لها فى مباحث علم المعانى

كالتقديم أو التأخير أو الذكر أو الحذف أو التعريف أو التنكير...إلخ باعتبارها مقتضيات تتنوع بتنوع الأحوال أو المقامات ويكون لها –من ثم- أثرها فى حسن الكلام وبلاغته.

يقول السَّكاكى فى ذلك: "وارتفاع شأن الكلام فى باب الحسن والقبول وانحطاطه فى ذلك بحسب مصادفة الكلام لما يليق به، وهو الذى نسميه مقتضى الحال... فإن كان مقتضى الحال طى ذكر المسند إليه فحسن الكلام تركه، وإن كان المقتضى إثباته على وجه من الوجوه المذكورة فحسن الكلام وروده على الاعتبار المناسب، كذا إن كان المقتضى ترك المسند فحسن الكلام وروده عاريا عن ذكره، وإن كان المقتضى إثباته مخصصًا بشىء من التخصيص فحسن الكلام نظمه على الوجوه المناسبة...".

ومن هنا نستطيع أن ندرك قيمة الحال أو المقام وما لها من أثر كبير فى استدعاء تلك الخواص التركيبية أو المقتضيات البلاغية، ومن ثم لا غنى لنا عن استكشاف ذلك الحال أو المقام قبل الولوج إلى أى نص أدبى يراد تحليله، والوقوف على مدى إجادة مبدعه فى اختيار تلك الخواص التركيبية التى تعرف بمقتضى الحال.

وإذا كان الحال أو المقام بهذه الدرجة من الأهمية للتحليل البلاغى فإننا ندرك بذلك مدى القصور الذى لحق التحليل البلاغى نتيجة لإغفال هؤلاء البلاغيين جزءًا كبيرًا من الحال أو المقام كإغفالهم لحال المتكلم على سبيل المثال.

ومع ذلك فإننا لا نعدم إشارات جيدة لمراعاة حال المتكلم نجدها فى محاولات بلاغيى المفسرين الذين فطن بعضهم لهذه النقطة وهى مراعاة حال المتكلم فى تحليلاتهم البلاغية، وهؤلاء كالإمام الزمخشرى ومَنْ تأثر به من المفسرين كالإمام الطيبى على سبيل المثال.

فقد اهتم الطيبى فى تطبيقاته البلاغية وفى مؤلفاته البلاغية عامة بمراعاة حال المتكلم حيث لم يقصر نظرته فى مطابقة الكلام لمقتضى الحال على حال المخاطب على نحو ما فعل البلاغيون ويظهر ذلك فى مواضع عديدة من مؤلفاته البلاغية)[21].

فَمقامُ كلٍّ من التنكير، والإطلاق، والتقديم والذكر: يباينُ مقامَ خلافهِ.

ومَقامُ الفصل: يباينُ مقامَ الوصل.

---

(21) انظر فى ذلك تفصيلاً فى دراستى للماجستير "الطيبى وجهوده البلاغية"، وتحقيقى لكتابه: التبيان، وثمة بحث منشور فى هذه المسألة بعنوان: رعاية حال المتكلم فى سورة البقرة، دراسة نظرية تطبيقية- مكتبة الهانى- جامعة القاهرة.

ومقامُ الإيجاز: يباينُ مقامَ خلافه.

وكذا: خطابُ الذكى مع خطاب الغبى، ولكلِّ كلمةٍ مع صاحبتها مقامٌ.

وارتفاعُ شأن الكلام فى الحسنِ والقَبولِ بمطابقتِهِ لِلإعتبارِ المناسِب[٢٢]، وانحطاطُهُ بعدمها، فمقتضَى الحالِ: هو الاعتبارُ المناسب.

قال القزوينى فى الإيضاح: "وهذا أعنى تطبيق الكلام على مقتضى الحال –هو الذى يسميه الشيخ عبدالقاهر بالنظم حيث يقول: النظم توخِّى معانى النحو فيما بين الكلم على حساب الأغراض التى يصاغ لها الكلام.

---

(٢٢) أى ما يقتضيه الحال والمقام.

القسم الأول

التصوير الفنيّ

التصوير الفني في أدق معانيه وأوضحها هو ذلك النوع من التعبير الذي تستثار فيه جميع إمكانات اللغة وطاقاتها على جميع مستوياتها التعبيرية لتعبِّر عن الأفكار والمشاعر والأحاسيس والرؤى بطريقة تصويرية بارعة تتأنق فيها الألفاظ والتراكيب لتقرِّب تلك المعاني والأفكار والمشاعر إلى النفس بعرضها في صورة ملموسة يسهل تصورها ، ويستعذب الخيال تأملها ، ويطيل الوقوف إزاءها ليتأمل مدى المطابقة بينها وبين الواقع متقاربة منه ، أو متسامية عليه محلقة في آفاق من الخيال والجمال.

والحق أن أمر التصوير الفني والبياني أوسع من أن يحد بحدٍّ أو صور بيانية بعينها ؛ بل تتميز نماذجه بروعة التصوير وجماله سواء كان على مستوى الحقيقة أو المجاز.

أما على مستوى التصوير الفني باستثمار طاقات الألفاظ والتراكيب على مستوى الحقيقة : فلك أن تتأمل – على سبيل المثال روعة التصوير لحال المنافقين وما انطبعت عليه نفوسهم من الجبن والخوف والهلع في قوله تعالى :" لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ "(التوبة:٥٧) .

حيث تعجب لدقة التصوير الفني والجمالي في مثل هذا الموضع – من خلال استثمار طاقات الألفاظ والتراكيب على مستوى الحقيقة دون الاستعانة بشيء من المجاز أو التصوير البياني – على اختلاف فنونه وتنوعها – فتعجب كيف صوَّر

هذه الصورة المتحركة التي لا تصوِّر المشاهد الظاهرة فحسب ؛ بل تصوِّر كذلك دواخل هؤلاء المنافقين وما انطبعوا عليه من الجبن والخوف والهلع وشدة الحرص على الحياة والتعلق بها ؛ فتراهم يبحثون عن أي ملاذ لهم معبرا عن شدة حرصهم على الحياة وتمنيهم لها بأداة الشرط (لو) وبالمضارع الدال على استمرارية هذا التمني وتجدده منهم (يجدون) مع ما في دلالته المعجمية على معنى البحث والتفقد ، ثم التعبير بصيغة المكان (ملجأ) والإتيان بها منكرة في سياق الشرط لإفادة العموم ؛ فهم يتمنون أي ملجأ يحتمون به ولو كان حقيرا دنيئا ، ثم في التعبير بـ(أو)التي تفيد التخيير والتنويع لتدل هنا على استواء تلك الملاجئ لديهم ؛ لأن ما يغلب على تفكيرهم ، ويهجم على نفوسهم هو محاولة اللجوء والاحتماء بأي سبب من الأسباب ، ثم في جمع (المغارات) مع ما في دلالتها المعجمية من معاني الغور والبعد والاختفاء ، ثم لك أن تتأمل جمال التعبير في صيغة اسم المكان (مدَّخلا) المأخوذة من الفعل (يدَّخل) – على صيغة (يفتعل) التي تأتي لتكلف الشيء ومحاولته ليصوّر لك شخصا يحاول أن يحشر نفسه في مكان ضيق حشرا بنوع من التكلف والمحاولة والمبالغة في الفعل ، ثم في التعبير بلام التوكيد في (لولَّوا) مع التعبير بالتولِّي وما فيه من معنى الهروب والفرار والجبن والتخاذل والهلع وغير ذلك من المعاني التي تأتي محمولة على اللفظ ، ولا يقوم بها لفظ دونه ، ثم التعبير بـ(إلى) التي تفيد التوجه والقصد إلى تلك الأماكن على بعد المسافة عنها مسارعة في اللجوء إليها والاحتماء بها ، ثم في التعبير بتلك الجملة الحالية التي تصور حالهم وما صاروا إليه من الخوف والهلع الذي صوره القرآن من خلال

جموح البصر وجحوظه وثباته نحو تلك الملاجئ لا يحول عنها ولا يزول ، وذلك من خلال دلالة الجملة الاسمية على الثبات والدوام على تلك الصفة.

ولك أن تتصور كذلك براعة التصوير وجماله في هذه الصورة الكلية الحقيقة التي يرسمها رب العزَّة – جلَّ وعلا للكون بعد إهلاك الكافرين من قوم نوح بالطوفان ، وإنجاء نوح والمؤمنين معه في سفينة النجاة في قوله تعالى :

" وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ" (هود:٤٤)

"وهل تشك إذا فكرت في قوله تعالى: " وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعداً للقوم الظالمين " . فتجلى لك منها الإعجاز، وبهرك الذي ترى وتسمع! أنك لم تجد ما وجدت من المزية الظاهرة والفضيلة القاهرة، إلا لأمر يرجع إلى ارتباط هذه الكلم بعضها ببعض، وأن لم يعرض لها الحسن والشرف إلا من حيث لاقت الأولى بالثانية والثالثة بالرابعة؟ وهكذا، إلى أن تستقريها إلى آخرها، وأن الفضل تناتج ما بينها، وحصل من مجموعها.

إن شككت فتأمل! هل ترى لفظة منها بحيث لو أخذت من بين أخواتها، وأفردت لأدت من الفصاحة ما تؤديه وهي في مكانها من الآية؟ قل: ابلعي

واعتبرها وحدها من غير أن تنظر إلى ما قبلها وإلى ما بعدها، وكذلك فاعتبر سائر ما يليها. وكيف بالشك في ذلك ومعلوم أن مبدأ العظمة في أن نوديت الأرض، ثم أمرت، ثم في أن كان النداء بـ(يا) دون (أي) نحو: يا أيتها الأرض. ثم إضافة الماء إلى الكاف دون أن يقال: ابلعي الماء، ثم أُتبع نداء الأرض وأمرها بما هو من شأنها، ونداء السماء وأمرها كذلك بما يخصها. ثم أن قيل: وغيض الماء. فجاء الفعل على صيغة (فُعِل) الدالة على أنه لم يغض إلا بأمر آمر وقدرة قادر. ثم تأكيد ذلك وتقريره بقوله تعالى: " قضي الأمر " . ثم ذكر ما هو فائدة هذه الأمور، وهو " استوت على الجودي " . ثم إضمار السفينة قبل الذكر كما هو شرط الفخامة والدلالة على عظم الشأن. ثم مقابلة قيل في الخاتمة بـ(قيل) في الفاتحة. أفترى لشيء من هذه الخصائص التي تملؤك بالإعجاز روعة، وتحضرك عند تصورها هيبة تحيط بالنفس من أقطارها تعلقاً باللفظ من حيث هو صوت مسموع، وحروف تتوالى في النطق؟ أم كل ذلك لما بين معاني الألفاظ من الاتساق العجيب؟"[٢٣]

ففي هذا النص السابق يبين لنا عبد القاهر الجرجاني أن اتّساق المعاني – في هذا النص وغيره – لم يكن إلا لاتساق الألفاظ وحسن تركيبها وتناسقها ، وهو أمر تتضافر في تحقيقه علوم البلاغة وفنون القول جميعها في القديم والحديث ؛

---

[٢٣] – عبد القاهر الجرجاني – دلائل الإعجاز – ص ١٦

وذلك أنه لا ينكر ذو ذوق روعة التصوير لهذا الحدث الجلل في الآية السابقة ، ولا يستطيع عالم كذلك من علماء البلاغة نسبة تلك الروعة ، أو تفسير مظاهر الجمال في هذه الآية في ضوء فنون البيان المعهودة المحدودة فقط ؛ إذ ليس في الآية تشبيه ولا كناية ولا شيء من المجاز المعهود إلا بضرب من التكلُّف والتمحُّل في القول بشيء منها ؛ اللهم إلا في استعارة البلع للأرض – وإن كان ذلك أيضا مما يجري مجرى الحقيقة – أتراك تتجاهل كلَّ ما بُيِّن لك من مظاهر الجمال في الآية النابع من تناسق ألفاظها وانسجام حروفها ثم تبحث بعد ذلك كلِّه عن صورة جزئية تنسب لها الفضل كتلك الاستعارة .

وماذا عسى أن تكون تلك الاستعارة في تلك الصورة المتلاحمة الأجزاء ؛ حيث كلُّ كلمة فيها ؛ بل كل حركة إنما هي جزء لا يتجزأ من نسيج تلك الصورة الرائعة ، ومما يزيد تلك الصورة روعة ما نشاهده فيها من الحركة والحياة ؛ فثمة أمر إلهي للأرض فإذا هي تستجيب على الفور فتبلع ماءها فكأنما هي قد انقلبت حوتا عظيما يبلع تلك المياه العظيمة ، وفي الوقت نفسه تؤمر السماء فتقلع عن هطولها ؛ فترى المطر ينقطع ، وترى السحاب ينقشع ، وترى صفحة السماء وقد صارت صافية ناصعة ، وتنظر إلى الماء فتراه يغيض وينقص حتى يتلاشى في لمح العين ؛ إنها صورة تفيض بالحركة ، وتظهر فيها يد القدرة تحرك هذا الكون ، وتتحكم في مقاديره.

وقد تظن أن التصوير لا يكون إلا للأحداث والوقائع وحركة الأجرام والأجسام ،وتتغافل عن تصوير المعاني وحسن عرضها في أحسن صورة وأبهاها .

ويمثل لذلك أيضا - عبد القاهر - بقوله تعالى: " **وجعلوا لله شركاءَ الجنَّ**" فيقول :"ليس بخاف أن لتقديم الشركاء حسناً وروعة ومأخذاً من القلوب أنت لا تجد شيئاً منه إن أنت أخرت فقلت: وجعلوا الجن شركاء لله، وأنك ترى حالك حال من نقل عن الصورة المبهجة والمنظر الرائق والحسن الباهر إلى الشيء الغفل الذي لا تحلى منه بكثير طائل، ولا تصير النفس به إلى حاصل والسبب في أن كان ذلك كذلك هو أن للتقديم فائدة شريفة. ومعنى جليلاً لا سبيل إليه مع التأخير. بيانه أنا وإن كنا نرى جملة المعنى ومحصوله أنهم جعلوا الجن شركاء، وعبدوهم مع الله تعالى، وكان هذا المعنى يحصل مع التأخير حصوله مع التقديم، فإن تقديم الشركاء يفيد هذا المعنى، ويفيد معه معنى آخر وهو أنه ما كان ينبغي أن يكون لله شريك لا من الجن ولا غير الجن. وإذا أخر فقيل: جعلوا الجن شركاء لله، لم يفد ذلك ولم يكن في شيء أكثر من الإخبار عنهم بأنهم عبدوا الجن مع الله تعالى. فأما إنكار أن يعبد مع الله غيره وأن يكون له شريك من الجن وغير الجن، فلا يكون في اللفظ مع تأخير الشركاء دليل عليه ، وذلك أن التقدير يكون مع التقديم أن شركاء مفعول أول لجعل، ولله في موضع المفعول الثاني، ويكون الجن على كلام ثاني على تقدير أنه كأنه قيل: فمن جعلوا شركاء لله تعالى، فقيل:

الجن، وإذا كان التقدير في شركاء أنه مفعول أول، و لله في موضع المفعول الثاني، وقع الإنكار على كون شركاء الله تعالى على الإطلاق من غير اختصاص شيء دون شيء، وحصل من ذلك أن اتخاذ الشريك من غير الجن قد دخل في الإنكار دخول اتخاذه من الجن، لأن الصفة إذا ذكرت مجردة غير مجراة على شيء كان الذي تعلق بها من النفي عاماً في كل ما يجوز أن تكون له تلك الصفة."[٢٤]

فانظر كيف جعل ذلك التعبير من الصورة المبهجة وجعل حالك – إن غيَّرت تلك الألفاظ عن وضعها التي اتسقت عليه - حال من نقل عن الصورة المبهجة والمنظر الرائق والحسن الباهر إلى الشيء الغفل الذي لا تحلى منه بكثير طائل، ولا تصير النفس به إلى حاصل .

وقد تكون الصورة الفنية نموذجا بشريا للخير أو الشر ، تعرضه عرضا حقيقيا ، توظف فيه أدوات اللغة وإمكاناتها دون شيء من صور البيان المعهودة من التشبيه والاستعارة والكناية ونحو ذلك .

وإن شئت فتأمل هذا النموذج البشري للخيرية والكمال الإنساني لعباد الرحمن في القرآن الكريم :

---

[٢٤] - دلائل الإعجاز للجرجاني - (ج ١ / ص ٨٤)

"وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا (٦٣) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا (٦٤) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (٦٥) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (٦٦) وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا (٦٧) وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٧٠) وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللهِ مَتَابًا (٧١) وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا...الآيات (٧٢)الفرقان"

ومن ذلك أيضا فيما عدَّ من صفاتهم قوله تعالى :

"إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٥) آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (١٦) كَانُوا قَلِيلا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (١٨) وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ" (١٩) : الذاريات

أو ان شئت تأمل فيما ذكر من حسن جزائهم في الآخرة:

"إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ (٥١) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٢) يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ (٥٣) كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ (٥٤) يَدْعُونَ فِيهَا

بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ (٥٥) لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلا الْمَوْتَةَ الأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٥٦) فَضْلا مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ"(٥٧) : الدخان .

فتأمَّل هل ترى فيما عُدَّ من صفاتهم أو من جزائهم شيئا من المجاز؟ أم أنك أمام صورة كلية رائعة لنموذج الخير البشري في هذا الوجود؟!

وتأمل في المقابل قول الله تعالى في أضداد هؤلاء:

" إِنَّ الإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١) إِلا الْمُصَلِّينَ (٢٢) المعارج"

ألست أمام صورة عجيبة كذلك لنموذج الشرِّ في هذا الوجود، وهو ذلك الإنسان الكافر الجاحد المعرض عن عبادة ربِّه ؟!

ومع إقرارك بجمال التصوير لتلك الصورة وإحكام الصنعة فيها فإنك تقرُّ كذلك بأنه ليس ثمَّة تشبيه ولا استعارة ولا كناية ولا مجاز !

وتأمل إن شئت كذلك صور القيامة ومشاهد الأهوال والعذاب والنعيم في ذلك اليوم مما يقسم ربُّ العزَّة جلَّ وعلا على وقوعه في نحو قوله تعالى :

"وَالطُّورِ (١) وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ (٢) فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ (٣) وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ (٤) وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ (٥) وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ (٦) إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ (٧) مَا لَهُ

مِنْ دَافِعٍ (٨) يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا (٩) وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا (١٠) فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١١) الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ (١٢) يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا (١٣) هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ (١٤) أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لا تُبْصِرُونَ "(١٥) : الطور.

أفلست ترى كيف يقررهم الله تعالى يوم القيامة بحقيقة ما يرون وبأنه واقع لا شك في رؤيتهم له ليس بالسحر ولا بالخيال؟!

وحتى لا يطول بنا المقام فإني أحيلك على كتاب الله تعالى لتأمل ما فيه من صور الحقائق التي لا ريب فيها من ذكر أهوال القيامة ومشاهدها ، ومن ذكر أحوال المؤمنين من المتقين والصالحين ، وأحوال أضدادهم من الكافرين والعصاة والغافلين ، وكيف كانت أحوالهم في الدنيا ، وإلام صارت مآلاتهم في الآخرة....الخ ما في كتاب الله تعالى من ذلك ونحوه من الحقائق.[٢٥]

وتأمل تلك الصور واللوحات التي يرسمها القرآن لصفحة الكون وجماله وإبداع الخالق فيه :

---

[٢٥] - تأمل – على سبيل المثال : سور القيامة – المرسلات – التكوير – الانفطار – الانشقاق – القارعة – الزلزلة ..الخ

" أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنزلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (٢٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ" (٢٨) : فاطر

فتأمل في ذلك كلِّه جمال التصوير وروعته مع أنك لست إلا أمام حقائق لا مرية فيها ، وليس فيما يتلى عليك شيء من البيان أو التصوير المعهود مما اقتصر عليه المتأخرون في مباحث البيان .

ومن ثم نقول إن أدوات اللغة كلها بجميع مستوياتها المعجمية والصوتية والصرفية والنحوية وغير ذلك تشترك في صنع وتخليق تلك الصور الفنية العجيبة التي تتراءى لنا في نماذج الأدب وروائعه .

وأن هذه الصور هي أوسع وأرحب من أن تحدَّ بهذه القوالب المحدودة من تشبيه واستعارة وكناية ومجاز ؛ فهي قد تكون كذلك ، وقد تكون ضروبا من الحقيقة الخالصة تتنوع وتتعدد بتعدد صور ذلك الكون واختلاف أشكاله وأضداده من الخير والشر ، والحق والباطل ، والصالح والطالح ، والليل والنهار ، والسهل والجبل ، والنور والظلمة ، والظل والحرور...الخ

"وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ (١٩) وَلا الظُّلُمَاتُ وَلا النُّورُ (٢٠) وَلا الظِّلُّ وَلا الْحَرُورُ (٢١) وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلا الأَمْوَاتُ.." فاطر

ولك أن تتأمل مثل ذلك في عيون الشعر العربي ، فتأمل على سبيل المثال قصيدة الحمى لدى المتنبي ؛ حيث يريد المتنبي أن يقول إنه رجل عمل لا رجل كلام ..، وذلك حيث يقول :

مَلومُكُما يَجِلُّ عَنِ المَلامِ وَوَقعُ فَعالِهِ فَوقَ الكَلامِ

ذَراني وَالفَلاةَ بِلا دَليلٍ وَوَجهي وَالهَجيرَ بِلا لِثامِ

فَإِنّي أَستَريحُ بِذي وَهَذا وَأَتعَبُ بِالإِناخَةِ وَالمُقامِ

فانظر كيف عبَّر عن المعنى الذي أراد في أبهى صورة من اللفظ ، مع أنه لم يعدُ الحقيقة في كلِّ ما ذكر.

وإن من أهم الأسباب التي تحسن بها الصورة عمق المعنى وثراء الدلالة .

ويمكننا أن نقسم صور وأضرب الثراء الدلالي للصورة الفنيّة إلى الأقسام التالية :

١- اتساع الدلالة المعجمية .

٢- اتساع الدلالة الصوتية .

٣- اتساع الدلالة الصرفية .

٤- اتساع الدلالة النحوية .

٥- اتساع الدلالة البيانية التصويرية.

٦- اتساع الدلالة الرمزية.

ويمكننا أن نقرر على الجملة أن الكلمة لدى المتنبي – الذي مثَّلنا به هنا باعتباره نموذجا للتصوير الفني لدى شعراء المعاني - تأتي الكلمة لديه محملة بتراكمات الدلالة الناتجة من فلسفة المتنبي وتجاربه في الحياة ، واتساع معارفه فيها ، معبرة لا عن آلامه وآماله ومعاناته وحده بل عن آلام وآمال ومعاناة الإنسان أيًّا ما كان في كلِّ زمان ومكان - كما أنها ناتجة في الوقت نفسه – من قدرة المتنبي وتمكنه من توظيف كافة إمكانات اللغة وطاقاتها الدلالية الكامنة في جميع مستوياتها السالفة الذكر .

فعلى المستوى المعجمي نجده يختار من الألفاظ ما هو أثرى دلالة ، وأوفر ظلالا ، وأكثرها تعبيرا عن المشاعر والتجارب ، تمسُّ هواجس النفس ،ومشاعر الأنس ، ولواعج الأسى ، ونوازع الخير والشر، ودفء الحب ، وحرارة الشوق ، وسُهد الحنين ، وألم الفراق ، وحكمة الخبير ، وحنكة المجرب ، وشجاعة المحارب ، وكرم الكريم ، وتعفف الأبيِّ ،ومدح الراغب ، وتملُّق المتشوِّف ، وحَنَق المغتاظ ، وسخرية الساخر ، ولوم اللائم ، ما بين حبٍّ شريف ، وغزل عفيف ، وهجاء عنيف ، ومدح لطيف ، وفخر منيف ، .....إلى آخر معانيه التي يستحيل حصرها

لأنها آلام الإنسانية كلِّها وآمالها ، وليست هموم المتنبي بمفرده ، وهـذا – بـلا شـك – هو سرُّ عظمة هذا الشاعر وخلود شعره.

وتظهر براعة المتنبي في توظيـف كلـمات اللغـة في نـصاعتها وشـفافيتها ووضـوحها لخلق هذه المعاني والتعبير عنها بصورة فنية رائقة ؛ فالألفاظ – رغم استعمالها لديـه استعمالا صـحيحا فـيما وضـعت لـه في اللغـة – إلا أنهـا تخـرج إلى معـان فنيـة ذات ظلال كثيرة وارفة.

انظر إليه وهو يقول :

أَعَزمي طالَ هَذا اللَيلُ فَانظُر ... أَمِنكَ الصُبحُ يَفرَقُ أَن يَؤوبا

كَأَنَّ الفَجرَ حِبٌّ مُستَزارٌ ... يُراعي مِن دُجُنَّتِهِ رَقيبا

كَأَنَّ نُجومَهُ حَليٌّ عَلَيـهِ ... وَقَـد حُذِيَت قَوائِمُهُ الجُبوبا

كَأَنَّ الجَوَّ قاسى ما أُقاسي ... فَصـارَ سَوادُهُ فيهِ شُحوبا

كَأَنَّ دُجاهُ يَجذِبُها سُهادي ... فَلَيسَ تَغيـبُ إِلا أَن يَغـيبا

أُقَلِّبُ فيهِ أَجفاني كَأَنّـي ... أَعُدُّ بِها عَلى الدَهرِ الذُنـوبا

وَما لَيلٌ بِأَطوَلَ مِن نَهارٍ ... يَظَلُّ بِلَحظِ حُسّادي مَشوبا

وَما مَوتٌ بِأَبغَضَ مِن حَياةٍ أَرى لَهُمُ مَعي فيها نَصيبا

عَرَفتُ نَوائِبَ الحَدَثانِ حَتّى لَوِ انتَسَبَت لَكُنتُ لَها نَقيبا[٢٦]

فانظر إلى الكلمات (يفرق – قاسى – أُقَلِّبُ – الذنوبا – عَرَفتُ – نَوائِبَ – الحَدَثانِ) بما لها من دلالات معجمية ثرَّة أحسن المتنبي توظيفها ، وتركها تظلل المعنى ، وتكثِّف دلالته ، وتعمِّقها ؛ فهي على وضوحها وسذاجتها ليست بالتي يمرُّ القارئ عليها مرَّ الكرام دون أن يطيل الوقوف لديها لتأمُّل ما فيها من مشاعر المتنبي الذي يترجم عن النفس الإنسانية بعامة ؛ فاللفظ (يفرق) في قوله :

أَعَزمي طالَ هَذا اللَيلُ فَانظُر أَمِنكَ الصُبحُ يَفرَقُ أَن يَؤوبا

لفظ واسع الدلالة بما لا يغني عنه لفظ آخر في موضعه ؛ فالفرَق : يجمع : البعد والنفور والخوف والتجنب والهرب ؛ ليكثِّف عظم عزمه وجلالته ، وعلو همته ، وخطورة مرامه ومقصده ، وأنه شيء عظيم جلل ، وليس أدلَّ على ذلك من أن الزمان نفسه يهابه ؛ فالصبح يفرق من عزمه كأنه خصم يخاف مواجهته ، ويتجشم لقاءه .

---

[٢٦] – ديوانه : ١/ ١٤٠

وكذلك لفظ (قاسى) في قوله :

كَأَنَّ الجَوَّ قاسى ما أُقاسي فَصارَ سَوادُهُ فيهِ شُحوبا

إنه يخلع على الجوِّ والطبيعة من حوله هموم نفسه متوحّدا معها - في نزعة رومانسية مبكرة - ليرى الطبيعة كلَّها صورة لما يعتلج بداخله من الأسى والمعاناة ، وكأنه بهذا يحاول أن يخفف عن نفسه ويقنعها بأن هذا هو حال الدنيا ، وأنها مجبولة على الكدر لا تكاد تصفو ، ولسان حاله يقول:

طُبِعَت عَلى كدرٍ وَأَنتَ تُريدُها صَفواً مِنَ الأَقذاءِ وَالأَكدارِ

وَمُكَلِّف الأَيامِ ضِدَّ طِباعِها مُتَطَلِّب في الماءِ جَذوة نارِ[٢٧]

ولم لا وهو القائل:

وَلَقَد رَأَيتُ الحادِثاتِ فَلا أَرى يَقَقاً[٢٨] يُميتُ وَلا سَواداً يَعصِمُ

وَالهَمُّ يَختَرِمُ الجَسيمَ نَحافَةً وَيُشيبُ ناصِيَةَ الصَبِيِّ وَيُهرِمُ

ذو العَقلِ يَشقى في النَعيمِ بِعَقلِهِ وَأَخو الجَهالَةِ في الشَقاوَةِ يَنعَمُ

---

[٢٧] - التهامي : أبو الحسن علي بن محمد - ديوانه - ط دار الكتب العلمية - بيروت

[٢٨] - اليقق : شدَّة البياض . انظر : اللسان : يقق

وإذا كان المتنبي مشهودا له بالعقل والحكمة – بلا شك – فهو من أكثر الناس شقاء في هذه الحياة إذن .

على أنك إذا نظرت إلى دلالات كلمة (أُقَلِّبُ) و(الذنوبا) في قوله:

أُقَلِّبُ فيهِ أَجفاني كَأَنّي أَعُدُّ بِها عَلى الدَهرِ الذُّنوبا

ترى عجبا من توظيف المتنبي لهذه الكلمة بما تحمله من دلالات نفسية تدلُّ على أسى عميق ، وسخط على هذا الزمان وأهله ؛ حيث لم يجد فيه حظوته وما كان يؤمِّل في سعيه ؛ ومن ثم فهو يرى أنه قد ظلم في زمانه ظلما لا حدَّ له ؛ فهذا الظلم في حسبانه هو بعدد حركات أجفانه ، وتقليبه إياها ، بما تحمله دلالة هذه الكلمة (أُقَلِّبُ) من معاني الحيرة والهمِّ والقلق والترقب ؛ إنها إذا دلالات شتَّى تأتي متآزرة لا متنافرة تؤيد المعنى وتشايعه.

" ونحن نعلم كيف كان المتنبي موتورا من دهره ،على النحو الذي تبين لنا من تصويره لحالته النفسية ، وليس يبعد هنا أن نستشف غيظه من هذا الدهر ، الذي عرف الكثير من نوائبه حتى أصبح بها خبيرا ."[٢٩]

كما يعبر عن ذلك قوله من نفس القصيدة :

عَرَفتُ نَوائِبَ الحَدَثانِ حَتّى لَوِ اِنتَسَبَت لَكُنتُ لَها نَقيبا

" – د/ طه مصطفى أبو كريشة – الخيال الشعري عند أبي الطيب المتنبي – ط١ –١٣٩٨هـ ١٩٧٨م – ص ١١٥

حيث نجد الألفاظ:(عَرَفتُ نَوائِبَ الحَدَثانِ) بما لها من دلالة على صحبة النوائب والمصائب والمحن ، وتمرسه بها ؛ فاللفظ : (عرفت) كما يدلُّ على صحبته لتلك المحن ، ومعاناته إياها يدلُّ – في الوقت نفسه – على خبرته بها ، وحنكته فيها ، وطول بلائه وتجاربه.

فإذا ما نظرنا على **المستوى الصوتي** وجدنا الألفاظ في منتهى الرقة والسلاسة والعذوبة والانسجام مع معانيها ، فهو إذ يختار الكلمة - بما لها من دلالة معجمية ثرية – تحسُّ أنه قد تقيَّد بشرط آخر في انتقائه إياها وهو : حسن ملاءمة بنيتها لمعناها ، ومطابقتها له ، ومؤازرتها إياه حتى كأنك تحسُّ محاكاة الأصوات للمعاني ، وإن لم تكن من أصوات المحاكاة ؛ فتزداد الدلالة وتعمق بذلك الإيحاء المنبعث من الصوت.

ويأتي الإطلاق في القافية مناسبا أتم المناسبة لندبه حظه ، ونصيبه من العيش ، وتنكر هذا الدهر له .

ومن ثم نلاحظ انسجام ظاهرة الإطلاق في القافية مع الدلالة المعجمية لتلك الكلمات التي دخلها الإطلاق مثل :

(يَؤوبا – شُحوبا - يَغيبا - الذُنوبا)

حيث تتلاحم الدلالة الصوتية التي تعطي معنى الندب والنحيب لسوء الحظ وتنكر الزمان مع الدلالة المعجمية التي توحي بها تلك الألفاظ ؛ فالصبح يفرق أن يؤوبا ، و الجوُّ صارَ سَوادُهُ فيهِ شُحوبا ، والدجى لا يغيب حتى يغيب سهاده ، وهو يعدُّ على الدهر الذُّنوبا ...الخ وكلها أمورٌ توحي بالتفجُّع والتحسُّر مما يناسب ذلك الإطلاق الذي يوافق صوت النادب المتفجع.

فإذا ما نظرنا على **المستوى الصرفي** نجد مظاهر أخر لتكاثف الدلالة وتراكبها مع المستوى المعجمي ؛ حيث نراه لا يقنع بالدلالة المعجمية والصوتية حتى يختار للكلمة من الصيغ ما هو أوفي بالمعنى مطابقا له ، أو مضيفا إليه مما توحي به الدلالة الوظيفية لتلك الصيغة .

ففي الأبيات السابقة نستطيع أن نلمح الدلالات الفنية للصيغ الصرفية في هذه الألفاظ مؤازرة لدلالتها المعجمية ؛ فعلى سبيل المثال نجد الأفعال:(يَفرَقُ - أَن يَؤوبا – يُراعي – قاسى – أُقاسي – يَجذِبُها - فَلَيسَ تَغيبُ - أَن يَغيبا - أُقَلِّبُ - عَرَفتُ – انتسبت - أَجفاني - الذُنوبا – حُسّادي - أَبغَضَ - نَوائِبَ – الحَدَثانِ)

حيث نلاحظ براعة المتنبي في توظيف الزمن مثل توظيف المضارع :(يفرق – يؤوب – يراعي – أقاسي – تغيب – يغيب – أقلِّب) لدلالة الاستمرارية والتَّجدد .

وهذه الدلالة الصرفية إنما تكرس الدلالة المعجمية التي تدلُّ عليها تلك الكلمات فهي إذا إنما تكرس دلالة (الفرق ، والخوف من الرجوع ، والغيبة ، وتقليب الأجفان الموحي بالحسرة والقلق والحنق على الدَّهر).

بينما نجد توظيف الماضي للدلالة على وقوع الحدث وتحققه كما في (عَرَفتُ – انتسبت)في قوله:

عَرَفتُ نَوائِبَ الحَدَثانِ حَتّى لَوِ انتَسَبَت لَكُنتُ لَها نَقيبا

للدلالة على مدى لصوقه بمصائب الدَّهر وفواجعه وتأصُّلها لديه حتى صار خبيرا بها.

ولا شك أن هذه الكلمات السابقة بما لها من دلالات معجمية وصوتية وصرفية ما كانت لتحسن لولا رعاية مكانها من النظم ؛ حيث تنظر إلى موقع تلك الكلمة من النظم فتراها كحبة لؤلؤ بواسطة العقد ، وما ذاك إلا لرعاية موقعها النحوي ، وتوظيف ما يوحي به من دلالة وظيفية كذلك ، وهذا أمر لا ينفك عن سابقه ، ولا يتصور فيه حسن الألفاظ ولا قبحها إلا بتأمل موقعها من النظم – كما يقرر

ذلك أرباب البلاغة.[٣٠]، وإنما تركت ذلك لانحصار موضوع البحث في جانب المفردات لا التراكيب.

اتساع الدلالة من خلال براعة التصوير الفني:

في الأمثلة السابقة حصرنا دائرة البحث في معجم المتنبي وألفاظه لنرى كيف كان يصوِّر بالحقيقة ما يعجز غيره عن تصويره بالمجاز ، أما في هذه الأمثلة التالية فالمقصود هنا منها والحديث عن الصورة لديه هو حسن توظيفه لتلك الألفاظ المؤثرة في تشكيل الصور البيانية المعهودة – من تشبيه واستعارة وكناية ومجاز

---

٣٠ – وفي ذلك يقول : عبد القاهر:" وهل يقع فى وهم وإن جهد، أن تتفاضل الكلمتان المفردتان، من غير أن ينظر إلى مكان تقعان فيه من التأليف والنظم، بأكثر من أن تكون هذه مألوفة مستعملة، وتلك غريبة وحشية، أو أن تكون حروف هذه أخف وامتزاجها أحسن، ومما يكد اللسان أبعد؟.

وهل تجد أحدًا يقول: هذه اللفظة فصيحة إلا وهو يعتبر مكانها من النظم، وحسن ملائمة معناها لمعانى جاراتها، وفضل مؤانستها لأخواتها؟.

وهل قالوا: لفظة متمكنة، ومقبولة، وفى خلافه: قلقة، ونابية، ومستكرهة، إلا وغرضهم أن يعبروا بالتمكن عن حسنِ الاتفاق بين هذه وتلك من جهة معناهما، وبالقلق والنبو عن سوء التلاؤم، وأن الأولى لم تلق بالثانية فى معناها، وأن السابقة لم تصلح أن تكون لفقًا للتالية فى مؤداها)[عبدالقاهر الجرجانى: دلائل الإعجاز – ط دار الكتب العلمية– (٣٨-٣٩)]

مرسل ونحو ذلك - بما لتلك الألفاظ من دلالة معجمية يعيد الشاعر إنتاجها في خيالاته ومعانيه الشعرية الجديدة.

فيضاف إلى ما سبق كلِّه - من الإشارة إليه على مستوى اللفظ - دقَّة التصوير وطرافته ، واتساع أرجاء الصورة ورحابتها، ولطافة الرمز ، وقوَّة دلالته ؛ يظهر ذلك سواء على مستوى الصور الجزئية التقليدية أو على مستوى التصوير الكلِّي في عموم ألفاظ القصيدة سواء كان ذلك بالمجاز أو الحقيقة .

فعلى مستوى الصور الجزئية المجازية من تشبيه واستعارة وكناية نلاحظ وضوح الصورة الفنية مع ما فيها من عمق ودلالة قوية على هموم الشاعر وأحاسيسه بما يجعل ذلك الوضوح مقبولا لدى القارئ .

فالفَجر كَأَنَّه حِبٌّ مُستَزارٌ يُراعي مِن ظلمتِهِ رَقيبا ، والليل كَأَنَّ نُجومَهُ حَليٌّ عَلَيهِ وَقَد حُذِيَت قَوائِمُهُ الأرض ، وكَأَنَّ الجَوَّ يقاسى ما يقاسي الشاعر فَصارَ سَوادُهُ فيهِ شُحوبا ، وكَأَنَّ دُجاهُ يَجذِبُها سُهاده ؛ فَلَيسَ تَغيبُ إِلا أَن يَغيبا ، وهو يقَلِّبُ فيهِ أَجفانه كَأَنَّه يعُدُّ بِهِ عَلى الدَهرِ الذُّنوبا.

فلا شك أن سبب اتساع الصورة وجمالها لديه ترجع أهم أسبابه إلى اتساع اللفظ لديه وثراء دلالته مع ما فيه من وضوح.

فعلى سبيل المثال يمكننا أن ننظر إلى اختياره لفظ (حِبّ) في تشبيه الفجر بما لهذا اللفظ من دلالات مجبية للنفوس ليدل على مدى تعلقه بالنهار الذي يخلصه من ذلك الليل المتطاول البغيض.

ونجوم الليل حلي عليه ؛ فيشبهها بالحلي لما فيه من دلالة على الثبوت والملازمة ، ويستعير لليل صفتي الأرجل ويرشح الاستعارة بأن يجعل لها الأرض حذاء للدلالة على الثبوت كذلك مما يعمق فكرة ثبوت الليل وتباطؤه.

كما نلمح مثل ذلك في التشبيهات الأخرى في القصيدة من حيث اختيار الألفاظ المعبرة في أركان الصورة ، كما في :كَأَنَّ الجَوَّ قاسى ما أُقاسي - كَأَنَّ دُجاهُ يَجذِبُها سُهادي - كَأَنّي أَعُدُّ بِهِ عَلى الدَهرِ الذُنوبا

ولا يحسن التصوير لديه بمجرد الصور الجزئية التقليدية ؛ بل نجد أن كلَّ ألفاظه موحية معبِّرة مصوِّرة للمعاني – إلا ما ندر ، سواء كانت من باب الحقيقة أو المجاز ، وذلك كما في :

أُقَلِّبُ فيهِ أَجفاني - يَظَلُّ بِلَحظِ حُسّادي مَشوبا - وَما مَوتٌ بِأَبغَضَ مِن حَياةٍ رَى لُهُمُ مَعي فيها نَصيبا - عَرَفتُ نَوائِبَ الحَدَثانِ.

وكلّها صور حقيقية ممتعة معبِّرة عن أحاسيس الشاعر وهمومه بفنية عالية ، ومع ذلك لا يمكن قبول دعوى المجاز فيها إلا بشيء من التكلُّف.

ومن خلال هذه المحاولة السابقة للكشف عن بعض دلالات تلك الألفاظ التي استخدمها المتنبي في قصيدته السابقة نرى كيف استطاع المتنبي توظيف طاقات اللغة المختلفة لتخليق المعاني والصور الفنية البارعة التي ازدانت بها قصيدته – مع عدم المغالاة في التصوير البياني المعهود ، أو اللجوء إلى الصور الشديدة الغموض ؛ بل إننا نقرر أنَّ هذه الصور الواضحة قد استطاعت أن تبهر العقول وتلهبها بالتأمل في تلك الصور والانشغال بها زمنا قد يزيد عن زمن حلِّ رموزها ، وكشف أسرارها حالة غموضها.

ولعمر الله ؛ إن هذا لأكثر فائدة ، وأعظم إمتاعا للعقول والقلوب _ أن يطول الزمن في جني الثمار وتحصيل الفوائد من أن يطول في تطلبها – نالها المرء أو لم ينلها.

ومما نحن بصدده هنا في مقام التصوير باللفظ ما يقرره أحد الباحثين من أن المتنبي يعتمد في تصويره على التقرير والإيحاء معا ، ويستغل إمكانات اللفظ بكاملها كما في قوله :

وَما المَوتُ إِلا سارِق دَقَّ شَخصُهُ يَصولُ بِلا كَفٍّ وَيَسعى بِلا رِجلِ [٣١]

---

[٣١] – د/ مصطفى بدوي – دراسات في الشعر والمسرح – ط دار المعرفة – القاهرة – ١٩٦٠م ، وينظر ديوان المتنبي :٣/ ٤٨

ويغلب التجسيد والتشخيص على الصور عند المتنبي ، ومن ثم يختار اللفظ الذي يساعده على ذلك ح فالموت سارق دقَّ شخصه يسرق أرواح البشر ، والدَّهر مذنب آثم ، والشاعر يعدّ عليه الذنوب :

أُقَلِّبُ فيهِ أَجفاني كَأَنّي أَعُدُّ بِها عَلى الدَهرِ الذُنوبا[٣٢]

"والزمن له فؤاد مثله في ذلك مثل البشر :

تَجَمَّعَت في فُؤادِهِ هِمَمٌ مِلءُ فُؤادِ الزَمانِ إِحداها[٣٣]

وهو يسخو ويبخل كما يفعل الإنسان :

أَعدى الزَمانَ سَخاؤُهُ فَسَخا بِهِ وَلَقَد يَكونُ بِهِ الزَمانُ بَخيلا[٣٤]"

وبعد عرضنا لتلك الأمثلة والنماذج التي ترينا روعة التصوير باستخدام جميع طاقات اللغة على جميع مستوياتها الدلالية – سواء كان ذلك بالحقيقة أم المجاز – أقول: إذا كان البلاغيُّون قد قسَّموا البلاغة إلى علوم ثلاثة هي المعاني والبيان والبديع مع مقدمة في فن الفصاحة ، فلا شك أن هذه العلوم أو الفنون

---

٣٢ – ديوانه : ١/ ١٤٠

٣٣ – ديوانه : ٤: ٢٧٧

٣٤ – ديوانه : ٣: ٢٣٦ ، وانظر : د/ عبد الفتاح صالح – لغة الحب في شعر المتنبي – دار الفكر – عمان – ط١ – ١٩٨٣م ص ٣٣٨

جميعها إنما تعنى ببيان طرق تصوير المعاني ، وعرضها في أبهى حلَّة ، وأحسن زينة ، وإذا كانت علوم البلاغة كلُّها تهتم – في رأيي – بتحقيق ذلك ؛ فإن علم البيان هو وحده من بين هذه العلوم الذي اختصه البلاغيُّون بدراسة فنون البيان التصويري ، أو التصوير البياني كما يحلو لي أن أسميه ؛ حيث إن هذا العلم وحده هو المختص – لديهم – بدراسة الصور البيانية المعهودة في التراث البلاغي من تشبيه واستعارة وكناية ومجاز مرسل .

وإذا كانت هذه الفنون هي بحق أزهى ما في بستان البلاغة ، أو هي – في الوقت نفسه – أروع آلات التصوير وأطوعها في يد المبدع الفنان ؛ فإنني أقرر بحق أن التصوير الفني – على عمومه واتساعه لا يقف عند حدود هذه الصور الجزئية المحدودة؛ فأدوات التصوير وآلاته هي الكلمات على عمومها حقيقة كانت أو مجازا ، وقد يصور مبدع بالحقيقة ما يعجز عن تصويره مبدع آخر بمختلف صور المجاز .

ومن ثم لا نوافق على ما قرره ابن الأثير من أن "المجاز أولى بالاستعمال من الحقيقة"[٣٥]

---

٣٥ – المثل السائر : ص ٣٥

وذلك أن أمر التصوير الفني ليس حكرا على المجاز وحده ؛ " فمن الممكن أن تكون الصورة على أكبر قدر من الوضوح ، ومن الممكن ألا يكون في الصورة أي مجاز لغوي ، ومع ذلك تكون صورة شعرية بكل المقاييس ، وإيحائية كأغنى ما تكون الصورة الشعرية ، وتراثنا الشعري القديم حافل بكثير من الصور التي لا تقوم على أي مجاز لغوي ، ومع ذلك ففيها من الطاقات اللغوية ما ليس في كثير من الصور التي تقوم على المجاز المتكلف المفتعل... ومقياس جودة الصورة في النهاية هو قدرتها على الإشعاع ، وما تزخر به من طاقات إيحائية ،؛ فبمقدار ثراء الصورة بالطاقات الإيحائية ترتفع قيمتها الشعرية."[٣٦]

ومن ثم لا نتفق مع ما قرره البلاغيون المتأخرون من أن "**موضوعُ هذا العِلمِ**: الألفاظُ العربية من حيث المجازُ والكِنايةُ. وأمّا التكلُّم عن الحقيقة والتّشبيه فليس مقصودًا بالذات في علم البيان."[٣٧]

ومن ثم نخلص من هذا إلى أن وضوح الصورة فضلا عن عدم مجازيتها لا يخالف سمة الفنية والبلاغة والجمال إذا ما أحسن الشاعر استثمار الطاقات الكامنة في

---

٣٦ - د/ علي عشري زايد – عن بناء القصيدة العربية الحديثة – مكتبة النصر – ط٣ – القاهرة ١٩٩٣م – ص ٩٨

٣٧ - انظر – على سبيل المثال - تعريف علم البيان وموضوعه في كتاب جواهر البلاغة للهاشمي بتحقيقي – ط دار البيان العربي.

عناصر التركيب اللغوي بحسن الموائمة بينها وبين المعنى المراد تصويره، وحسن التأليف فيما بينها لإنتاج الصورة الفنية – حقيقية كانت أم مجازية.[٣٨]

وإذا كنا دللنا فيما سبق على ما ذكرناه من شيوع التصوير وشموله لكلِّ آلات اللغة وأدواتها بما ذكرناه من تلك الأمثلة الجزئية الرائعة من القرآن الكريم ؛

" – معجم المتنبي بين الوضوح وثراء الدلالة – بحث للدكتور / عبد الحميد هنداوي – منشور بمجلَّة بحوث كلية الآداب – ع ٩٤- إبريل ٢٠١٠م – ص ٨

فإننا قد دللنا على ذلك أيضا بأمثلة ونماذج كليَّة من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وروائع الشعراء – في العديد من كتبنا المنشورة - بما يؤكد ما سبق أن ذكرناه ودللنا عليه فيما سبق من حديثنا .[٣٩]

---

٣٩ - راجع من كتبنا : سلسلة : دراسات أسلوبية في القرآن الكريم :

١ - - سورة (ق) قراءة أسلوبية

٢ - - سورة (القمر) قراءة أسلوبية

٣ - - سورة (النازعات) قراءة أسلوبية

٤ - - سورة (نوح) قراءة أسلوبية

٥ - - سورة (الفاتحة) قراءة أسلوبية

٦ - بلاغة الرسول – صلى الله عليه وسلم.

٧ - معجم المتنبي : وضوح اللفظ وثراء الدلالة

٨ - جواب البديهة في النثر العربي القديم – دراسة أسلوبية بلاغية

٩ - جواهر الأدب في كنوز كلام العرب

١٠ – أنماط المفارقة في شعر أحمد مطر

١١ - الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم

١٢ - الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم

١٣ - الإعجاز الدلالي في القرآن الكريم

١٤ - الإعجاز الأسلوبي في القرآن الكريم

وغيرها مما هو مذكور في ملاحق الكتاب.

القسم الثاني

التصوير البياني

نتناول في هذا الجزء من الكتاب القسم الثاني من موضوعه وهو ما اقتصر البلاغيون المتأخرون على دراسته من التصوير الفني – في الجزء الذي خصصوه لدراسة الصورة، واصطلحوا على تسميته بـ(علم البيان) .

وفي هذا القسم من الكتاب نعرض لدراسة هذا العلم وفق خطته في دراسة المتأخرين من البلاغيين مع شيء من التيسير ، مع ما يفتح الله به من التعليق على بعض ما رأينا أن الحاجة ماسَّة للتنبيه إليه من مسائل هذا العلم ومقولات البلاغيين ، بالإضافة لما رصعنا به تلك المباحث من نماذج التطبيق الرائعة من كتاب الله تعالى ، أو من كلام النبي – صلى الله عليه وسلَّم – أو من كلام فصحاء العرب وبلغائهم وشعرائهم في القديم والحديث.

عِلْمُ الْبَيَانِ[40]

(تعريفه)

(أ)البيان[41] معناه في اللُّغة: الكشفُ، والإيضاحُ.

وفي اصطلاح البلغاء: أصولٌ وقواعدُ يُعرف[42] بها إيرادُ المعنى الواحد، بِطرُقٍ يَختلِف بعضُها عن بعض، في وُضوح الدّلالة على نفس ذلك المعنى.

---

[40] اعتمدنا في تأصيل هذا القسم على تحقيقنا السابق لكتاب جواهر البلاغة للهاشمي .

[41] هو اسم لكل شيء كشف لك بيانَ المعنى وهَتك لك الحجُبَ دون الضمير؛ حتى يُفضِيَ السامع إلى حقيقته، ويهجمَ على محصوله،كائنًا ما كان ذلك البيانُ، ومن أي جنس كان ذلك الدليلُ؛ لأن مدارَ الأمر والغايةَ التي يَجري إليها القائلُ والسامعُ، إنما هو الفهمُ والإفهامُ؛ فبأيّ شيء بلغتَ الإفهام، وأوضحتَ عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع. واعلم أن المعتبر في علم البيان دِقَّةُ المعاني المعتبرة فيها مِن الاستعارات والكنايات مع وضوح الألفاظ الدالة عليها. فالبيان هو المنطقُ الفصيحُ المعرِبُ عما في الضمير.

وقد مرَّ مصطلح البيان في تراثنا العربي بعدَّة مراحل ، ومن ثم كان له عدَّة دلالات بحسب كل مرحلة ؛ فتارة كان يراد به مطلق الكشف والبيان بحسب معناه اللغوي ؛ فكل ما أبان لك المعنى ولو بالإشارة من غير نطق فهو من البيان، وتارة يطلق البيان ويراد به التعبير الفني على عمومه ، وهو ما بيناه في أول الكتاب في بيان المراد بالتصوير الفني ، وفي مرحلة استقرار التأليف البلاغي عند المتأخرين أطلق البيان وأريد به الصور البيانية المعهودة مِن التشبيهات والاستعارات والكنايات والمجازات .

(ولا بُدّ مِن اعتبار المطابقة لمقتضى الحال دائمًا).

-فالمعنى الواحد "كَكرمِ سَعْدٍ". يُدلُّ عليه تارة بطريق التّشبيه بأن يقال: "سعد كحاتم"، ومرّةً بطريق المجاز. بأن يُقال: "رأيت بحرًا في دار سعد"، وأخرى بطريق الكناية. بأن يُقال "سعدٌ كثيرُ الرمادِ".

ولا يخفى أنّ بعضَ هذه التّراكيب أوضحُ من بعض كما ستعرفه[٤٢].

(ب)وموضوعُ هذا العِلمِ: الألفاظُ العربية من حيث ما يعرض لها من الحقيقة والمجازُ والتشبيه والاستعارة والكِنايةُ.

---

(٤٢)أي يعرف مَن حصّل تلك الأصول كيف يعبر عن المعنى الواحد بعباراتٍ بعضُها أوضحُ من بعض؛ فعلم البيان علم يُتمكن به من إبْراز المعنى الواحد بصور متفاوتةٍ، وتراكيبَ مختلفة في درجة الوضوح؛ فالمحيط بفن البيان، الضليع من كلام العرب منثوره ومنظومه؛ إذا أراد التعبير عن أي معنى يجول بضميره، استطاع أن يختار من فنون القول، وطُرق الكلام ما هو أقربُ لمقصده، وأليقُ بغرضه، بطريقة تُبين ما في نفس المتكلم من المقاصد، وتوصلُ الأثر الذي يريده به إلى نفس السامع في المقام المناسب له؛ فينال الكاتبُ والشاعرُ والخطيبُ مِن نفس مخاطبيه، إذا جوَّد قوله، وسحرهم ببديع بيانه.

(٤٣)ولا يغيبُ عن البال أن الألفاظ المترادفةَ تتفاوتُ دلالتُها من جهة اللفظ والعبارة، لا مِن ناحية الوضوح والخفاء؛ فلا تدخل حينئذٍ في مباحث فن البيان ؛ وذلك لوقوعها جميعا في دائرة الحقيقة .

(ج)**وواضعُه**: قيل :أبو عُبيدةَ الذي دَوَّنَ مسائل هذا العِلْم في كتابه المسمَّى "مجاز القرآن"، وما زال ينمو شيئًا فشيئًا؛ حتّى وصلَ إلى الإمام "عبدالقاهر"، فأحكَم أساسه، وشيَّدَ بناءه، ورتَّب قواعدَه، وتبعَه الجاحظُ، وابنُ المُعتز، وقُدامة، وأبو هلالٍ العسكريُّ.

(د)**وثمرته**: الوقوفُ على أسرارِ كلام العرب "منثورِه ومنظومه"، ومعرفة ما فيه من تَفاوُت في فنون الفصاحةِ، وتبايُن في درجاتِ البلاغة التي يصلُ بها إلى مرتبة إعجاز القرآنِ الكريم الذي حار الجنُّ والإنسُ في محاكاته، وعَجَزوا عن الإتيان بمثله.

الذي لا يُتصرّف فيه عند الاستعمال يُسمَّى (**حقيقة**).

والمجاز: وهو الذي يُتصرّف فيه عند الاستعمال:

(أ)فإنْ كان التّصرف بإسناده إلى غير ما حقُّه أن يُسند إليه، سُمِّي "مجازًا عقليًا أو إسنادًا مجازيا" نحو: "بنى الأميرُ المدينةَ".

(ب)وإنْ كان بنقله مِن معنى لمعنى لعلاقة وقرينة:

(أ)فإن منعتْ قرينتُه إرادَةَ المعنى الموضوع له "**فمجاز بالاستعارة**" إن كانَتِ العَلاقةُ المشابهةَ "**ومجازٌ مرسلٌ**" إن كانت العَلاقةُ غيرَها.

(ب)وإن لم تَمنع القرينةُ فإنْ كان بالكاف وكأنّ ونحوهما؛ "**فتشبيه**"، وإلا "**فكِناية**".

-ولهذا انحصر عِلْمُ البيان في: **التشبيه، والمجاز، والكناية**.

في التّشبيه[44]

التشبيه: أوَّلُ طريقة تدُلُّ عليها الطبيعة لبيان المعنى، وهو في اللغة: التَّمثيل، **وعند علماء البيان:** مُشاركة أمرٍ لأمر في معنى[45] بأدوات معلومة[46]، كقولك: "العِلْمُ كالنّور في الهداية.." فالعلم مُشبّه، والنور مشبه به، والهداية وجهُ الشَّبه، والكاف أداة التّشبيه، فحينئذ أركانُ التشبيه أربعة: مشبه، ومشبه به "يُسمّيان طرفي التّشبيه"، ووجهُ شبه، وأداةُ تشبيه "ملفوظة أو ملحوظة"- **وفي هذا الباب مباحث:**

---

[44] اعلم أن للتشبيه موقعًا حسنًا في البلاغة؛ وذلك لإخراجه الخفيَّ إلى الجلي، وإدنائه البعيدَ من القريب، يزيد المعاني رِفعةً ووضوحًا، ويُكسبها توكيدًا وفضلا، ويُكسبها شرفًا ونُبلا؛ فهو فن واسعُ النطاق، فسيحُ الخطوة، ممتدُّ الحواشي، مُتشعِّبُ الأطراف، مُتوعر المسلك، غامضُ المدرك، دقيقُ المجرى، غزيرُ الجدوى.

[45] فالتشبيه: هو الدلالةُ على أن شيئًا أو أشياءً شاركَتْ غيرَها في صفة أو أكثرَ بواسطة أداة من أدوات التشبيه.

[46] وهي الكاف وكأن ومثل ونحوها، وكذا ماثل وشابه وما اشتق منها أو يرادفها في المعنى مما سيأتي.

المبحث الأول

في تقسيم طرفي التشبيه إلى حِسِّي وَعقْلي

-طرفا التشبيه: "المشبه، والمشبه به":

١ -**إمّا حِسِّيان**[٤٧] "أي مدُركَان بإحدى الحواسّ الخمس الظَّاهرة" نحو: "أَنْتَ كالشمس في الضِّياءِ". وكما في تشبيه "الخدِّ بالورد".

---

(٤٧)اعلم أن من الحسي: ما لا تُدركه الحواسُّ الخمس مركبا ، ولكن تدرك كل جزئية من الصورة مستقلة ، فيسمى هذا التشبيه "بالخيالي" ؛ لأن تصوُّره مركبا لا يكون إلا في الخيال كقوله:

كأنّ الحبابَ المُستدير برَأسِها	كواكِبُ دُرٍّ في سماءٍ عَقيقِ

فإنّ هذه الكواكبَ، والسماء لا يدركها الحسُّ بتلك الهيئة ؛ لأنها غيرُ موجودة، ولكن يدرك أجزاءها ، التي هي الدُّرُّ والعقيقُ على انفراد، والمراد بالحباب: ما يعلو الماء مِن الفقاقيع، والضمير للخمر. ومنه أيضًا قولُ الآخر:

وكـــأنّ محمـــرَّ الـــشّقـ	ـيـــقِ إذا تـــصوَّب أو تَـــصعَّـدْ
أعـــلامُ ياقـــوتٍ نُـــشِرْ	نْ عـــلى رِمـــاحٍ مـــن زبرْجَـــدْ

فإن الأعلامَ والياقوتَ والزبرجدَ والرماحَ موجودة؛ لكن المشبه الذي مادته هذه ليس موجودًا ولا محسوسًا.

والمراد بالعقلي: ما لا يدرك هو ولا مادته بإحدى الحواسِّ الظاهرة؛ بل إدراكه عقلاً؛ فيدخل فيه الوهمي: وهو ما لا يدرك هو ولا مادته بإحدى الحواسّ، لكن لو وجد في الخارج لكان مُدرَكًا بها، ويسمى هذا التشبيه "بالوهمي". كقوله تعالى " طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ "(الصافات :٦٥)

وكقول امرئ القيس:

أيقتُلنـــي والمَـــشْرفيُّ مُـــضاجِعي	وَمْـــسنُونةٌ زُرقٌ كأنْيـــاب أغـــوالِ؟

فإن أنيابَ الأغوال لم تُوجَدْ هي ولا مادتها؛ وإنما اخترعها الوهمُ، لكن لو وُجِدتْ لأُدركت بالحواسِّ. والمشرفي: السيف. والمسنونة: السهام. والأغوال: يزعمون أنها وحوش هائلة المنظر، ولا أصلَ لها، والوجدانيات: كالجوع والعطش ونحوهما مُلحَقَةٌ بالعقلي. ثم التضاد بين الطرفين قد يُنزل منزلة التناسب، ويُجعل وجه الشبه على وجه الظرافة أو الاستهزاء؛ كما في تشبيه شخص ألْكَنَ بقُسِّ بن ساعدة، أو رجل بخيلٍ بحاتم.

٢-وإمّا عقليان: أي مدركان بالعقلِ، نحو: "العِلْمُ كالحياة". ونحو: "الضَّلالُ عن الحق كالعَمى". ونحو: "الجهل كالموت".

٣-وإمّا المشبه حِسِّي، والمشبه به عقلي، نحو: "صديقُ السُّوءِ كالموتِ".

٤-وإمّا المشبه عقلي، والمشبه به حِسِّي، نحو: "العِلْمُ كالنّور".

المبحث الثاني

في تقسيم التشبيه باعتبار وَجه الشّبه

-وَجهُ الشّبه هو الوصفُ الخاصُّ الذي يُقصدَ اشتراكُ الطّرفين فيه. كالكرم في نحو: "خليلٌ كحاتم في الكرم".

وينقسم التشبيهُ باعتبار (وجه الشبه) إلى:

١-**تمثيل**: وهو ما كان وجهُ الشّبه فيه صورةً منتزَعَةً من متعدِّد، كقوله:

وما المرءُ إلا كالشِّهاب وضوئه	يُوافي تَمامَ الشّهر ثُمّ يَغِيبُ

فوجه الشبه "سُرعة الفناء" انتزعه الشاعرُ من أحوال القمر المتعدّدة؛ إذ يبدو هلالاً، فيصير بَدْرًا، ثم ينقص، حتى يُدركه المحاق.

(ويسمّى التشبيه تمثيلا).

فالتشبيه التمثيلي ما كان وجه الشبه فيه هيئة منتزعة من متعدد، حسيا كان أو غير حسي، كالتشبيه الواقع في قول الشاعر:

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا = وأسيافَنا، ليل تهاوى كواكبه

فإن وجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من سقوط أجرام نيرة متناثرة، وسط شيء مظلم.

ولم يقصد الشاعر إلى تشبيه النقع بالليل، والسيوف بالكواكب. وإنما قصد إلى تشبيه الهيئة بالهيئة، أي هيئة السيوف اللامعة التي تهوي من الأعلى إلى الأسفل، وسط الغبار الأسود، بهيئة الكواكب المنيرة حال تساقطها من السماء وسط ليل مظلم.وغير التمثيلي ما كان لم يكن هيئة منتزعة من متعدد، بأن كان أمرا واحدا أو متعددا.فالواحد كتشبيه زيد بالأسد في الشجاعة. والمتعدد كتشبيه زيد بالقمر في العلو والوضاءة.

ومن أمثلة التمثيلي أيضا :

قال النابغة

فلا تتركني بالوعيد كأنني إلى الناس مطلي بها القار أجربُ

فيه تشبيه صورة كاملة بصورة أخرى ..شبه نفسه وقد توعده النعمان بـ " الجمل الأجرب" الذي طلي بالقار وعزل عن الإبل لئلا تنتقل إليها عدوى الجرب .

ووجه الشبه في كلٍّ هو الاجتناب والنفور سواء كان من الجمل الأجرب أو ممن توعده الملك.

ومن أمثلته في القرآن :

١ - قوله تعالى : { مَثَلُ الذين حُمِّلُواْ التوراة ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الحمار يَحْمِلُ أَسْفَاراً . الجمعة :٥ } .

"هذا مثل ضربه الله لليهود ، وهو أنه شبههم بحمار ، وشبه التوراة التي كلفوا العمل بما فيها بأسفار أي كتب جامعة للعلوم النافعة ، وشبه تكليفهم بالتوراة : بحمل ذلك الحمال لتلك الأسفار ، فكما أن الحمار لا ينتفع بتلك العلوم النافعة التي ف تلك الكتب المحمولة على ظهره ، فكذلك اليهود لم ينتفعوا بما في التوراة من العلوم النافعة لأنهم كلفوا باتباع محمد صلى الله عليه وسلم وإظهار صفاته للناس فخانوا وحرفوا وبدَّلوا فلم ينفعم ما في كتابهم من العلوم اهـ .

ووجه الشبه عدم الانتفاع بما تحملوه من التوراة وهم يعلمون ما فيها من رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد أوضح الله تعالى هذا في موضع آخر في قوله تعالى : { الذين آتَيْنَاهُمُ الكتاب يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الحق وَهُمْ يَعْلَمُونَ } [البقرة : ١٤٦] فقد جحدوا رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم فلم ينفعهم علمهم به....

والذي ينبغي التنبيه عليه هو أن أكثر المفسرين يجعله من قبيل التشبيه المفرد ، وأن وجه الشبه فيه مفرد وهو عدم الانتفاع بالمحمول ، كالبيت الذي فيه :

كالعيس في البَيْداء يقتلها الظما ... والماء فوق ظهورها محمول

والذي يظهر والله تعالى أعلم ، أنه من قبيل التشبيه التمثيلي لأن وجه الشبه مركب من مجموع كون المحمول كتباً نافعة ، والحامل حمار لا علاقة له بها بخلاف ما في البيت ، لأن العيس يمكن أن تنتفع بالماء لو حصلت عليه ، والحمار لا ينتفع بالأسفار ولو نشرت بين عينيه ، وفيه إشارة إلى أن من موجبات نقل

النبوة عن بني إسرائيل كلية أنهم وصلوا إلى حد الإياس من انتفاعهم بأمانة التبليغ والعمل ، فنقلها الله إلى قوم أحق بها وبالقيام بها ."[٤٨]

٢- قال تعالى : "وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاء فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ" سورة الحج آية :٣١

هذا تشبيه لحال المشرك الذي سقط من نظر الله ، وسقطت مكانته عنده ؛ فهو متنكس بضلالته ، لا شأن له ، يشبه من خرّ من السماء ، لا شيء يحميه ، أو ينقذه من الخطر الذي يحيط به ، وهو لا بدّ واقع في المهالك والمهاوي المردية ،تخطفه الطير فتقطّعه بمخالبها ، وتمزقه إرْبًا إرْبًا ، أوستهوي به الريح في مكان سحيق .جزاء وفاقا إنها صورة التمزق والضياع التي يعيشها المشرك بالله ، الكافر بنعمه ، حينما يعرض عن طاعة ربه ، وهي صورة مرعبة مخيفة ، تمثل سوء العاقبة ، وهول النهاية . وقد وردت على شكل التشبيه التمثيلي : فالمشرك في انخلاعه من حماية الله ، وتركه المرفأ الأمين ، كالساقط من السماء والأخطار تحدق به من كلّ مكان.

"إنه مشهد الهويّ من شاهق { فكأنما خر من السماء } . وفي مثل لمح البصر يتمزق { فتخطفه الطير } أو تقذف به الريح بعيداً بعيداً عن الأنظار : { أو تهوي به الريح في مكان سحيق } في هوة ليس لها قرار!

" - أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن - (ج ٨ / ص ٢٥٢)

والملحوظ هو سرعة الحركة مع عنفها وتعاقب خطواتها في اللفظ«بالفاء »
وفي المنظر بسرعة الاختفاء . . على طريقة القرآن الكريم في التعبير بالتصوير .

وهي صورة صادقة لحال من يشرك بالله ، فيهوي من أفق الإيمان السامق إلى حيث الفناء والانطواء . إذ يفقد القاعدة الثابتة التي يطمئن إليها . قاعدة التوحيد . ويفقد المستقر الآمن الذي يثوب إليه؛ فتتخطفه الأهواء تخطف الجوارح ، وتتقاذفه الأوهام تقاذف الرياح . وهو لا يمسك بالعروة الوثقى ، ولا يستقر على القاعدة الثابتة ، التي تربطه بهذا الوجود الذي يعيش فيه ."[٩٩]

٣- ومثاله أيضا قول الله تعالى : (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم) .
فالمشبه : حال من ينفق قليلا في سبيل الله .
والمشبه به : حال من بذر حبة فأنبتت سبع سنابل .
ووجه الشبه : هو صورة من يعمل قليلا فيجني من ثمار عمله كثيرا ، وهو منتزع من أمور شتى : (حبة ، وإنباتها سبع سنابل ، وكون مائة حبة في كل سنبلة) .

٤- ومن الأمثلة أيضا :

قال تعالى" مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف"

---

[٩٩] - في ظلال القرآن - (ج ٥ / ص ١٩٥)

فيه: تصوير لأعمال الكفار في عدم نفعها وأنها لا أثر لها يوم القيامة ، ولا يعتمد عليها في نجاة صاحبها من النار ، حيث يلتمسها وهو في أشد الحاجة إليها فلا يجدها كحالة الرماد الذي يتطاير في يوم عاصف فلا يقدر صاحبه عليه .. فهنا تشبيه هيئة بهيئة ..وليس تشبيه مفرد بمفرد.

٢-**وغير تمثيل**: وهو ما لم يكن وجه الشبه فيه صورةً منتزَعةً من متعدِّد. نحو "وجهه كالبدر". وكقول الشاعر:

لا تَطْلُبَنَّ بآلة لك رُتْبةً	قَلَمُ البليغِ بغيرِ حظٍ مغْزَلُ

فوجه الشبه "قِلّة الفائدة"، وليس منتزعًا من متعدّد.

٣-**ومفصلٌ**: وهو ما ذُكر فيه وجه الشبه نحو: "خُلُقٌ محمدٍ كالنّسيم رِقَّة"، "ويدُه كالبحر جودًا"، "وكلامُه كالدُّر حُسنًا"

وكقول ابن الرّومي يصف محبوبا:

شبيهُ البدرِ حُسْنًا وضِياءً ومنالا	وشبيهُ الغُصْنِ لِينًا وقَوامًا واعتدالا

٤-**ومجمل**: وهو ما لم يذكر فيه وجه الشبه ، نحو: "النحو في الكلام كالملح في الطعام"، وكقوله:

إنّما الدنيا كبَيْتٍ	نسجهُ مِن عنكبوت

٥-**وقريبٌ مبتذلٌ**: وهو ما ينتقل فيه الذِّهن من المشبه إلى المشبه به، من غير احتياج إلى شدّة نظر وتأمُّل؛ لظهور وجهه بادئَ بَدْءٍ.

وذلك: كتشبيه الخد بالوردِ في الحمرة، أو كتشبيه الوجهِ بالبدر في الإشراق والاستدارة.

وَقَدْ يخرج من الابتذال إلى الغرابة **بالجمع بين عدّة تشبيهات**، كقول الشاعر:

كأنما يبسمُ عَنْ لُؤلؤٍ	مُنضّدٍ أو بَرَدٍ أو أقاحْ

أو باستعمال شِرْط، كقوله:

عَزَماته مِثْلُ النّجومِ ثواقبًا	لو لم يَكُنْ للثّاقبات أُفولُ

٦-**وبعيد غريبٌ**: وهو ما احتاج (في الانتقال من المشبه إلى المشبه به) إلى فكر ودِقّة نَظَر؛ لخفاء وجهه في بادئ الرأي، كقوله:

والشمّس كالمِرآة في كفّ الأشَل

(فإن الوجهَ فيه: هو الهيئة الحاصلة مِن الاستدارة مع الإشراق، والحركة السريعة المتّصلة مع تموُّج الإشراق؛ حتى تَرى الشعاع كأنه يهمّ بأن ينبسط حتى يفيضَ من جوانب الدائرة؛ ثم يبدو له فيرجع إلى الانقباض).

-وحُكْمُ وجه الشبه: أن يكون في المشبه به أقوى منه في المشبه؛ وإلا فلا فائدة في التشبيه.

المبحث الثالث

في أدوات التشبيه

-**أدوات التشبيه**: هي ألفاظ تدلّ على معنى المُشابهة، كالكاف، وكأنَّ، ومثل، وشِبْه، وغيرها، مما يؤدِّي معنى التشبيه "كالمُضاهاة والمحاكاة، والمُشابهة، والمماثلة، ونحوه، وكذا ما يُشتقَّ من لفظَيْ "ماثَل وشابَهَ"، أو ما يُرادفهما في المعنى.

-وهي قد تُحذف نحو: "اندفع الجيشُ اندفاعَ السَّيل"، أي كاندفاعه.

-والأصلُ في (الكاف، ومثل، وشِبه) أن يليَها المشبَّهُ به.

-والأصلُ في (كأنّ، وشابه، وماثل- وما يرادفها) أن يليها المشبه، كقوله:

كـأنَّ الثُّرَيَّـا راحـةٌ تـشبرُ الـدُّجى	لتنظـرَ طـال الليـلُ أم قـد تعرَّضـا

-"وكأنَّ"، تفيد التشبيه إذا كان خبرها جامدًا نحو: "علي كالأسد"، وتفيد الشك إذا كان خبرها مشتقًا نحو: "كأنك فاهمٌ" وكقوله:

كأنَّـكَ مِـن كـلِّ النفـوس مركَّـبٌ	فأنـتَ إلى كـلِّ النُّفـوس حَبيـبُ

-وقد يُغني عن أداة التشبيه "فعلٌ" يدل عليه ؛ فإنْ كان الفعل لليقين؛ أفاد قُربَ المشابَهة، نحو: "رأيت الدنيا سرابًا يغرُّ الناظرين". أي : اعتقدت كذا في الدنيا ، أو شبهتها بكذا ، أو عرفتها كسراب.

وإن كان الفعلُ للشك؛ أفاد التعظيم، نحو: ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا﴾[50]، ونحو: "حسبتُ الفِيلَ جَبلا"، وكقوله:

قَـوْمٌ إذا لبـسوا الـدُّرُوعَ حَـسِبْتَها	سُـحُبًا مـزَرَّدةً عـلى أقـمارِ

-(وينقسم التشبيه) باعتبار أداته إلى:

(أ)التشبيه المؤكد: وهو ما حُذِفتْ أداته، **كقول الشاعر:**

أنـتَ نَجْـمٌ في رِفْعـةٍ وضـيَاءٍ	تَجتليـكَ العيـونُ شَرْقًـا وغَرْبًـا

(ب)التشبيه المرسل[51]**:** وهو ما ذُكِرتْ فيه الأداة، **كقول الشاعر:**

إنّـما الـدُّنيا كبيـتٍ	نَـسْجُهُ مِـنْ عَنْكَبـوت

---

[50] الإنسان:١٩.

[51] وسُمِّي مرسلاً؛ لإرساله عن التأكيد.

ومنَ المؤكد (ما أُضِيفَ فيه المشبهُ به إلى المشبه)، كقول الشاعر:

وَالريحُ تَعْبَثُ بالغصون وقد جرَى	ذَهبُ الأصيلِ[52] على لُجينِ الماء

أي: أصيلٌ كالذَّهب على ماء كاللُّجين.

(ج)**التشبيه البليغ**: وهو ما حُذِفَتْ فيه أداة التشبيه ووجهُ الشبه[53] كما في قوله:

فاقْضُوا مآربكم عِجالاً إنما	أعمارُكم سَفرٌ مِنَ الأسفارِ

[52]الأصيل: الوقت بعد العصر إلى المغرب، واللُّجين: الفِضّة.

[53]ومن التشبيه البليغ: المصدر المضاف المبين للنوع، نحو: "راغَ رَوَغانَ الثعلبِ"، ومنه أيضًا: إضافة المشبه به للمشبه، نحو: "لبسَ فلانٌ ثوب العافية"، كما ذكرناه.

المبحث الرابع

في فوائد التشبيه

-**فوائد التشبيه** تعود "في أكثر المواضع" إلى المشبه- وهي إمّا:

١-**بيان حاله**: وذلك حينما يكونُ المشبهُ غيرَ معروفِ الصفة قبل التشبيه؛ فيُفيده التشبيهُ الوصفَ، كقول الشاعر:

إذا قامَتْ لحاجتها تَثَنَّتْ	كأنّ عِظامها مِنْ خَيْزُرانِ

(شبَّه عِظامها بالخيزران؛ بيانًا لما فيها من اللِّين).

٢-**أو بيان إمكان حاله**: وذلك حين يُسند إليه أمرٌ مُستغرب؛ لا تزول غرابتهُ إلا بذكر شبيهٍ له، كقوله:

ويلاهُ إنْ نظرتْ وإنْ هي أعْرضَتْ	وقْعُ السِّهام ونزعُهنّ أليمُ

(شبَّه نظرَها بوقْعِ السِّهام، وإعراضَها بنزعها؛ بيانًا لإمكان إيلامها بهما جميعًا).

٣-**أو بيان مقدار حاله قوةً وضعفًا**: وذلك إذا كان المشبّه معروفَ الصفة قبل التّشبيه معرفةً إجماليةً، وكان التشبيه يُبيِّن مقدارَ هذه الصفة، كقوله:

كأنَّ مِشيتها من بيتِ جارتِها	مرُّ السَّحابِ لا رَيْثٌ ولا عَجَلُ

وكتشبيه الماء بالثلج في شدة البرودة

٤-**أو تقرير حاله في نفس السامع**: إبرازها فيما هي فيه أظهر؛ كما إذا كان ما أُسند إلى المشبه يحتاجُ إلى التثبيت والإيضاح بالمِثال، كقوله:

إن القُلوبَ إذا تنافَر وُدُّها	مِثْلُ الزُّجاجةِ كَسْرُها لا يُجْبَرُ

(شبه تنافر القلوب بكسر الزجاجة؛ تثبيتًا لتعذُّر عودة القلوب إلى ما كانت عليه من الأنس والمودّة).

٥-**أو بيان إمكان وجوده**، (وأنه ممكنُ الحصولِ)، كقوله:

فإنْ تَفُقِ الأنامَ وأنْتَ مِنهُمْ	فإنّ المِسْكَ بعْضُ دمِ الغزالِ[٥٤]

---

(٥٤)أي أنه لا استغرابَ في فوقانك للأنام مع أنك واحد منهم؛ لأن لك نظيرًا وهو المسك؛ فإنه بعضُ دم الغزال وقد فاق على سائر الدماء -ففيه تشبيه حال الممدوح بحال المسك تشبيهًا

٦- أو مدحه وتحسينه: كقول الشاعر:

كأنكَ شمسٌ والملوكُ كواكبُ	إذا طلعتْ لم يَبْدُ منهنَّ كوكبُ

٧- أو تشويهه وتقبيحه، كقول الآخر:

وإذا أشارَ محدثًا فكأنهُ	قِردٌ يُقهقِهُ أو عجوزٌ تلطِمُ

٨- أو استطرافه (أي عدّه طريفًا حديثًا)

إما لإبرازه في صورة الممتنع عادة؛ كما في تشبيه فحم فيه جمر متقد؛ ببحر من المسك موجُه الذهب.

وإما لندور حضور المشبه به في النفس عند حضور المُشبه، كقول ابن الرومي يصف هلال العيد:

انظرْ إليه كزورقٍ من فِضَّةٍ	قد أثقلتْه حمولةٌ من عنبرِ(*)

ضمنيا- والتشبيه الضمني هو تشبيه لا يوضع فيه المشبه والمشبه به في صورة من صور التشبيه المعروفة، بل يُلمحان في التركيب؛ لإفادة أن الحكم الذي أُسند إلى المشبه ممكن.

(*) الحمولة: ما يُحمل فيه ويُوضع. والمقصد من التشبيه وجود شيء أسود داخل أبيض.

تشبيه على غير طُرُقه الأصلية

(١)(التشبيه الضمني)

قد يُورد التّشبيه ضِمنًا من غير أن يُصرَّح به، ويُجعل في صورة برهان على الحكم الذي أُسنِدِ إلى المشبّه، فقد ينحو الكاتب أو الشاعر منحى من البلاغة يوحى فيه بالتشبيه من غير أن يصرح به في صورة من صوره المعروفة، يفعل ذلك نزوعاً إلى الابتكار؛ وإقامة للدليل على الحكم الذي أسنده إلى المشبه، ورغبة في إخفاء التشبيه ؛ لأن التشبيه كلما دق وخفى كان أبلغ وأفعل في النفس كقول المتنبي:

مَنْ يَهُنْ يَسْهُل الهوانُ عليهِ	ما لجُرْحٍ بميِّتٍ إيلامُ

يقول أبو الطيب : (أي أنّ الذي اعتاد الهوانَ، يسهلُ عليه تحمُّله، ولا يتألّم له، وليس هذا الادعاء باطلاً؛ لأن الميِّتَ إذا جُرِح لا يتألّم).

وفي ذلك تلميحٌ بالتشبيه في غير صراحةٍ، وليس على صورةٍ من صور التشبيه المعروفة.

الأمثلة :

(١) قال أَبو تمّام :

لاَ تُنْكِرِى عَطَلَ الْكَرِيم مِنَ الْغِنَى فالسَّيْلُ حَرْبٌ لِلْمكانِ الْعالِى

(٢) وقال ابن الرومي :

قَدْ يَشِيب الْفَتَى وَلَيْسَ عجيباً أَنْ يُرَى النَّورُ فِى الْقَضِيبِ الرَّطيبِ

التحليل :

في بيت أبي تمام يقول الشاعر لمن يخاطبها: لا تنكرى خلو الرجل الكريم من الغنى فإن ذلك ليس عجيباً لأن قمم الجبال وهي أشرف الأماكن وأعلاها لا يستقر فيها ماءُ السيل.

فأنت تلمح هنا تشبيهاً ، ولكنه يشبه ضمناً الرجل الكريم المحروم الغنى بقمة الجبل وقد خلت من ماء السيل ، ولكنه لم يضع ذلك صريحاً بل أتى بجملة مستقلة وضمنها هذا المعنى في صورة برهان.

ويقول ابن الرومي : إن الشاب قد يشيب ولم تتقدم به السن ، وإن ذلك ليس بعجيب فإن الغصن الغض الرطب قد يظهر فيه الزهر الأبيض.فابن الرومي هنا

لم يأت بتشبيه صريح فإنه لم يقل : إن الفتى قد خطه الشيب كالغصن الرطيب حين إزهاره ، ولكنه أتى بذلك ضمناً.

ففي الأبيات الثلاثة السابقة تجد أركان التشبيه وتلمحه ، ولكنك لا تجده في صورة من صوره التي عرفتها، وهذا يسمى بالتشبيه الضمني.

القاعدة :

التشبيه الضمني : تشبيه لا يوضع فيه المشبه والمشبه به في صورةٍ من صور التشبيه المعروفة بل يلمحان في التركيب. وهذا النوع يؤتى به ليفيد أن الحكم الذي أسند إلى المشبه ممكن.

نموذج :

(١) قال المتنبي :

وأَصبح شِعْرِي منهما فى مكانه وفى عنقِ الحْسَناء يسْتحْسَن العِقْد

(٢) وقال :

كَرَمٌ تَبَيَّن فِى كلامِك مَاثلاً ويبين عِتقُ الخْيْل من أَصوَاتِها

وجه الشبه	المشبه به	المشبه
زيادة جمال الشئ لجمال موضعه.	حال العقد الثمين يزداد بهاء في عنق الحسناء.	حال الشعر يتغنى به الكريم فيزداد الشعر جمالا لحسن موضعه.
دلالة شئ على شئ.	حال الصهيل الذي يدل على كرم الفرس	حال الكلام وأنه ينم عن كرم أصل قائله.

تمرينات :

بين المشبه والمشبه به ونوع التشبيه فيما يأتي مع ذكر السبب :

(١) قال البحترى :

ضَحوكٌ إلى الأَبطال وهْوَ يَروعُهم وللسَّيفِ حدٌّ حين يسْطُو ورَوْنَقُ

(٢) وقال المتنبي :[٥٦]

ومن الْخَيْرِ بطءُ سَيْبِكَ عنِّى أَسْرَعُ السُّحْبِ فى المسِيرِ الْجَهَام

---

[٥٦] - الجَهَام: السَّحاب الذي قد هَرَاق ماءه .المزهر في علوم اللغة وأنواعها (١/ ١٠٣)

(٣) وقال :

لاَ يُعْجِبَنَّ مَضِيماً حُسنُ بِزّتِه وهلْ يروق دَفيناً جوْدة الكَفَن

(٤) وقال :

ومَا أَنا مِنْهُمُ بالعَيشِ فيهمْ وَلكِنْ معْدِن الذهبِ الرَّغامُ

(٥) وقال أبو فراس :

سَيذْكُرنى قَوْمى إِذَا جدَّ جِدُّهمْ وفِى اللَّيْلَة الظَّلْماءِ يُفْتَقَدُ الْبَدْر

(٦)

تَزْدَحِمُ القُصَّادُ فِى بابـِهِ والمنْهلُ العَذْبُ كثيرُ الزحام

(٧)

قال أبو العتاهية :

تَرْجو النَّجاةَ ولَمْ تَسلك مسالِكَها؟ إِنَّ السَّفينَةَ لا تجْرى على اليَبَس

(٢) التشبيه المقلوب

(٢)قد يُعكس التشبيه؛ فيُجعل المشبه مشبهًا به وبالعكس[٥٧] فتعود فائدتُه إلى المشبه به؛ لادِّعاء أن المشبه أتمُّ وأظهرُ من المشبه به في وجه الشبه، ويسمى ذلك (بالتشبيه المقلوب)[٥٨] أو المعكوس، نحو: "كأن ضوءَ النَّهار جبينه".

---

(٥٧)التشبيه المقلوب (ويسمى المنعكس): هو ما رجع فيه وجه الشبه إلى المشبه به؛ وذلك حين يُراد تشبيه الزائد بالناقص، ويُلحق الأصلُ بالفرع للمبالغة، وهذا النوع جارٍ على خِلاف العادة في التشبيه، وورد على سبيل الندور.

وإنما يحسنُ في عكس المعنى المتعارف، كقول البحتري:

في طَلْعة البدْر شيء مِن محاسِنها	وللْقضيبِ نصيبٌ مِن تَثَنِّيها

والمتعارَف تشبيه الوجوه الحسنة بالبُدور، والقامات بالقضيب، في الاستقامة والتثني، لكنه عكس ذلك مبالغةً- هذا إذا أريد إلحاقُ كامل بناقص في وجه الشبه؛ فإنْ تساويا حَسُنَ العدولُ عن التشبيه إلى المشابهة؛ تباعدًا من ترجيح أحد المتساويين على الآخر.

(٥٨)يقرب من هذا النوع ما ذكره الحلبيُّ في كتاب (حسن التوسل) وسماه "تشبيه التفضيل"، وهو أن يشبه شيء بشيء لفظًا أو تقديرًا، ثم يُعدل عن التشبيه؛ لادِّعاء أن المشبه أفضلُ مِن المشبه به، كقوله:

حسبتُ جمالَها بدرًا مُنيرًا	وأينَ البَدْرُ مِن ذاك الجمالِ؟

ونحو: "كأن نشر الروض حُسن سيرته"، ونحو: "كأنّ الماء في الصفاء طباعه"، وكقول محمد بن وهيب الحميري:

وبدا الصَّباحُ كأنَّ غُرَّتَه	وَجهُ الخليفة حين يُمتدحُ

(شبه غرَّة الصَّباح، بوجه الخليفة؛ إيهامًا أنه أتمُّ منها في وجه الشبه. وهذا التشبيه مَظْهرٌ من مظاهر الافتنان والإبداع)، وكقوله تعالى حكايةً عن الكفار ﴿إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾[٥٩] في مقام أن الرِّبا مثلُ البيع، عكسوا ذلك؛ لإيهام أن الرِّبا عندهم أحلُّ من البيع، لأن الغرض الرِّبح، وهو أثبتُ وجُودًا في الرِّبا منه في البيع؛ فيكون أحقَّ بالحِلِّ عندهم.

---

(٥٩) البقرة: ٢٧٥.

تنبيهات

(الأول) بعضُ أساليبِ التشبيه أقوى مِن بعض في المبالغة، ووضوحِ الدلالة ولها مراتب ثلاث:

"أ"أعلاها وأبلغُها: ما حُذِف فيها الوجه والأداة نحو: "على أسد"؛ وذلك أنك ادَّعيتَ الاتحاد بينهما بحذف الأداة، والتشابهَ في كل شيء بحذف الوجه؛ ولذا سمي هذا تشبيهًا بليغًا[٦٠].

"ب"المتوسطة: ما تُحذف فيها الأداةُ وحدها، كما تقول "علي أسد شَجاعةً"، أو يُحذف وجه الشبه، فتقول "علي كالأسد"، وبيان ذلك: أنك بذكرك الوجهَ حَصَرْتَ التشابه، فلم تدعْ للخيال مجالاً في الظن بأن التشابه في كثير من الصفات، كما أنك بذكر الأداة نَصَصْتَ على وجوه التفاوت بين المشبه والمشبه به، ولم تترك بابًا للمبالغة.

---

(٦٠)البليغ من أنواع التشبيه هو البعيد الغريب؛ فكلما كان وجه الشبه قليلَ الظُّهور، يُحتاج في إدراكه إلى إعمال الفكر؛ كان ذلك أفعلَ في النفس وأدعى إلى تأثرها واهتزازها. وتتفاوت قوة المبالغة من التشبيه باختلاف الصور التي يُوضَع فيها؛ فأضعفُ تلك الصور في المبالغة ما ذُكرتْ فيه أركان التشبيه جميعها نحو: "علي كالأسد شجاعةً"، وأقواها فيها ما حُذِف فيه وجهُ الشبه وأداتُه مع ذِكْر المشبه، ويتوسط بين هذين الطرفين ما حُذِفت فيه الأداةُ وحدها، أو وجهُ الشبه وحده.

"ج"أقلها ما ذُكر فيها الوجه والأداة؛ وحينئذ فقدت المزيتينِ السابقتينِ.

(الثاني) قد يكون الغرضُ من التشبيه حَسنًا جميلاً، وذلك هو النمط الذي تسمو إليه نفوسُ البُلغاء. وقد أتَوا فيه بكل حَسَنٍ بديع، كقول ابن نباته في وصف فرس أغرّ محجل:

وكأنّما لَطَمَ الصَّباحُ جبينَه	فاقتصّ مِنْهُ فخاض في أحْشائه

وقد لا يوفق المتكلم إلى وجه الشبه، أو يصل إليه مع بعد، وما أخلقَ مثلَ هذا بالاستكراه، وأحقَّه بالذم؛ لما فيه من القبح والشناعة، بحيث ينفر منه الطبعُ السليمُ.

(الثالث) عُلِمَ مما سبق أن:

١-التشبيه المرسل- ما ذُكرت فيه الأداةُ.

٢-التشبيه المؤكد- ما حُذفت فيه الأداةُ.

٣-التشبيه المجمل- ما حُذف منه وجهُ الشبه.

٤-التشبيه المفصل- ما ذُكِر فيه وجه الشبه.

٥-التشبيه البليغ- ما حُذفت منه الأداةُ، ووجهُ الشبه.

٦-التشبيه الضمني- تشبيه لا يُوضع فيه المشبهُ والمشبهُ به في صورة من صور التّشبيه المعروفة؛ بلُ يلمحان في التركيب.

وهذا النوع يؤتَى به ليفيد أن الحكم الذي أُسنِدِ إلى المشبه ممكن[٦١].

---

(٦١)كقوله:

لا تُنكري عَطَلَ الكريمِ مِن الغِنى	فالسَّيلُ حَرْبٌ للمكانِ العالي

أي لا تنكري خُلوَّ الرجل الكريم من الغنى؛ فإن ذلك ليس عجبًا؛ لأن قِمم الجبال (وهي أعلى الأماكن) لا يستقر فيها ماءُ السيل "فهاهنا يلمح الذكي تشبيهًا" ولكنه لم يَضَعْ ذلك صريحًا؛ بل أتى بجملةٍ مستقلةٍ وضمَّنها هذا المعنى في صورة برهان؛ فيكون هذا التشبيهُ على غير طُرقه الأصلية بحيث يُورد التشبيه ضِمنًا؛ من غير أن يُصَّرح به، ويجعل في صورة برهان على الحكم الذي أسند إلى المشبه، كما سبق شرحه.

المبحث السابع

في تقسيم التشبيه باعتبار الغرض إلى مقبول وإلى مردود

-ينقسم التشبيه باعتبار الغرض إلى: حَسَنٍ مقبولٍ، وإلى قبيحٍ مردود:

١-**فالحسنُ المقبول**: هو ما وفَى بالأغراض السابقة؛ بأن يكون المشبه به أعرفَ من المشبه في وجه الشبه، إذا كان الغرضُ بيانَ حال المشبه أو بيانَ المقدار. أو أن يكونَ أتمَّ شيء في وجه الشبه، إذا قُصِد إلحاقُ الناقص بالكامل. أو أن يكونَ في بيان الإمكان مسلّم الحكم، ومعروفًا عند المخاطب، إذا كان الغرضُ بيانَ إمكان الوجود، وهذا هو الأكثر في التشبيهات؛ إذ هي جارية على الرَّشاقة ساريةٌ على الدِّقة والمبالغة.

٢-**والقبيحُ المردودُ**: هو ما لم يفِ بالغرضِ المطلوبِ منه؛ لعدم وجود وجهٍ بين المشبه والمشبه به، أو مع وجودِه لكنه بعيدٌ.

-"**اشتريتُ ثوبًا أحمرَ كالورد**" في هذه الجملة تشبيهٌ مرسل مفصَّلٌ -المشبه "**ثوبًا**". والمشبه به "**الورد**". وهما حسيان مفردان. والأداة "**الكاف**". ووجه الشبه "**الحُمرة**" في كلٍّ، والغرضُ منه بيانُ حال المشبه.

ما الدّهْرُ إلا الرَّبيعُ المْستنيرُ إذا	أَتَى الرَّبيعُ أتاك النُّورُ والنَّوْرُ
فالأرْضُ ياقوتةٌ والجوُّ لُؤلؤةٌ	والنَّبْتُ فيرُوزَجٌ والماءُ بِلَّوْرُ

"**الأرض ياقوتة**" تشبيه بليغ مجمل. المشبه "**الأرض**". والمشبه به "**ياقوتة**"، وهما حسيان مفردان، ووجه الشبه محذوفٌ، وهو "**الخضرة**" في كلٍّ. والأداةُ محذوفة.

والغرضُ منه تحسينُه، "والجو لؤلؤة، والنبت فيروزج، والماء بلور" كذلك، وفي البيت كُلّه تشبيه مفروق؛ لأنه أتى بمشبه ومشبه به وآخر وآخر.

العُمْر، والإنْسانُ، والدُّنيا همو	كالظِّلِّ في الإقبال والإدبار

فيه تشبيه تسوية مرسل مفصل. المشبه "**العمر، والإنسان، والدنيا**"، والمشبه به "**الظل**". والمشبه بعضهُ حسي وبعضهُ عقلي. والمشبه به حسي. **والكاف** الأداة. ووجه الشبه "**الإقبال والإدبار**". والغرضُ تقريرُ حاله في نَفْسِ السامع.

كَم نِعمةٌ مرّتْ بنا وكأنّها	فَرَسٌ يُهرْول أو نسيمٌ سارِي

فيه تشبيه جمع مرسل مجمل. المشبه "**نعمة**"، والمشبه به "**فرس يهرول، أو نسيم ساري**"، وهما حسيان، "**وكأن**" الأداة، ووجه الشبه "**السرعة في كلٍّ**". والغرضُ منه بيانُ مقدار حاله.

لَيْلٌ وبَدرٌ وغُصْنٌ	شَعْرٌ ووَجْهٌ وقَدُّ

فيه تشبيه بليغ مجمل ملفوف. المشبه "**شعر**" وهو حسي، والمشبه به "**ليل**" وهو عقلي، والأداةُ محذوفة، ووجه الشبه "**السواد في كل**"، والغرضُ منه بيانُ مقدار حاله.

وفي الثاني: المشبه "**وجه**". والمشبه به "**بدر**". وهما حسّيان. ووجه الشبه "**الحسن في كلٍّ**"، والأداة محذوفة، والغرضُ تحسينه. **وفي الثالث**: المشبه "**وقد**". والمشبه به "**غصن**". وهما حسيان. ووجه الشبه "**الاعتدال في كلٍّ**"، والأداة

محذوفة، والغرضُ بيانُ مقداره، هذا وإنْ شئتَ فقل: هذا تشبيه مقلوب بجعل المشبه به مشبهًا، والمشبه مشبهًا به؛ لغرض المبالغة؛ بأن تجعل الليلَ مشبهًا، والشعر مشبهًا به.

وقَدْ لاحَ في الصُّبْحِ الثُّريّا كما تَرى	كعُنقودِ مُلاّحيَّةٍ حِين نوَّرا

فيه تشبيه تمثيل مرسل مجمل، **المشبه**: هيئة الثريا الحاصلة من اجتماع أجرام مشرقة مستديرة منيرة، **والمشبه به**: هيئةُ عنقود العنب المنور، **والجامع**: الهيئةُ الحاصلةُ من اجتماع أجرام منيرة مستديرة في كل، والأداة **"الكاف"**، والغرضُ منه بيانُ حاله.

وبعض ما أُثِرَ منه عن العرب والمُحدَثينَ

-تَنْشأُ بلاغة التشبيه: من أنه ينتقل بكَ من الشيء نفسه إلى شيء طريف يُشبهه، أو صورةٍ بارعة تمثِّله، وكلما كان هذا الانتقالُ بعيدًا قليلَ الخطور بالبال، أو ممتزجًا بقليل أو كثير من الخيال؛ كان التشبيه أروعَ للنفس، وأدعى إلى إعجابها واهتزازها.

فإذا قلتَ: "فلانٌ يشبه فلانًا في الطول"، أو "إنَّ الأرضَ تُشبه الكُرةَ في الشكل"، لم يكن في هذه التشبيهاتِ أثرٌ للبلاغة؛ لظهور المشابهة، وعدم احتياج العثور عليها إلى براعة وجُهد أدبيّ، ولخلُوِّها مِن الخيالِ.

-وهذا الضربُ من التشبيه يُقصد به البيانُ والإيضاحُ، وتقريبُ الشيء إلى الأفهام، وأكثرُ ما يُستعمل في العلوم والفنون.

-ولكنك تأخذُك رَوْعةُ التشبيه؛ حينما تسمع قول المعري يَصفُ نجمًا:

يُسْرِعُ اللمْحَ فِي احْمِرارٍ كما تُسْـ	ـرِعُ في اللَّمْـحِ مُقْلَـةُ الغَـضْبانِ

فإنَّ تشبيه لمحاتِ النجم وتألُّقِهِ مع احمرار ضوئه، بسرعة لمحة الغضبان، من التشبيهات النادرة التي لا تنقاد إلا لأديب، ومن ذلك قول الشاعر:

وكأن النُّجُومَ بَيْنَ دُجاها	سُنَنٌ لاحَ بَيْنَهُنَّ ابْتِدَاعُ

فإنَّ جمال هذا التشبيه جاء من شعورك ببراعة الشاعر، وحَذْقِه في عقد المشابهة بين حالتين –ما كان يخطر بالبال تشابُهُهما، وهما: حالةَ النجوم في رُقعَة الليل، بحال السنن الدِّينية الصحيحة مُتفرقةً بين البِدَع الباطلة.

ولهذا التشبيه رَوْعَة أخرى، جاءت من أنَّ الشاعر تخيَّلَ: أن السنن مضيئة لَمَّاعة، وأنَّ البدع مُظلمةٌ قاتمة.

ومن أبدع التشبيهات قول المتنبي:

بَلِيتُ بِلَى الأطْلالِ إنْ لَمْ أقِف بِها	وُقُوف شَحِيحٍ ضاع في التُّرْب خَاتَمُهْ

يدعو على نفسه بالبِلى والفَنَاء، إذا هو لم يقف بالأطلال، ليذكر عهد مَن كانوا بها، ثم أراد أن يُصورِّ لك هيئةَ وقوفه؛ كما يقف شَحِيح فَقَد خاتَمَه في التراب، من كان يُوَفَّق إلى تصوير حال الذاهل المتحِّير المحزون، المطرق برأسه،

المنتقل من مكان إلى مكان في اضطراب ودهشة، بحال شحيح فقدَ في التراب خاتمًا ثمينًا؟!

هذه بلاغةُ التشبيه مِن حيث مبلغُ طرافته، وبُعد مَرماه، ومقدار ما فيه من خيال، أما بلاغتُه من حيث الصورةُ الكلامية التي يُوضَع فيها فمتفاوتة أيضًا؛ فأقلّ التشبيهات مرتبةً في البلاغة ما ذُكِرت أركانه جميعُها؛ لأن بلاغة التشبيه مبنيَّة على ادعاء أن المشبّه عينُ المشبه به، ووجود الأداة، ووجه الشبه معًا، يَحولانِ دُونَ هذا الادعاء؛ فإذا حُذِفت الأداة وحدَها، أو وجهُ الشبه وحدَه ارتفعت درجة التَّشبيه في البلاغة قليلاً؛ لأن حذف أحد هذين يُقوِّي ادعاء اتحاد المشبه والمشبه به بعضَ التقوية. أمّا أبلغُ أنواع التشبيه "فالتشبيه البليغ"؛ لأنه مبنيٌّ على ادعاء أن المشبه والمشبه به شيء واحد.

-هذا، وقد جرَى العربُ والمُحدَثُون على تشبيه الجوادِ بالبحر والمطر، والشجاعِ بالأسد، والوجه الحَسَن بالشمس والقمر، والسَّهْمِ الماضي في الأمور بالسيف، والعالي المنزلة بالنجم، والحليم الرزين بالجَبل، والأمانِيِّ الكاذبة بالأحلام، والوجه الصَّبيح بالدينار، والشَّعر الفاحم بالليل، والماء الصافي باللُّجين، والليل بموج البحر، والجيش بالبحر الزاخر، والخَيْلِ بالرِّيحِ والبَرْق، والنُّجُوم بالدُّرر والأزهار، والأسنان بالبَرَد واللؤلؤ، والسُّفنِ بالجبال، والجداول بالحيات الملتوية، والشّيْبِ بالنهار، ولَمعِ السيوف وغُرَّةِ الفرس بالهلال، ويشبِّهون

الجبانَ بالنَّعامة والذُّبابة، واللّئيمَ بالثعلب، والطائِشَ بالفَرَاش، والذليل بالوتِدِ، والقاسِيَ بالحديد والصخر، والبليدَ بالحِمار، والبخيلَ بالأرض المُجدِبَة.

-وقد اشتُهِر رجالٌ من العرب بِخِلال مَحْمُودة؛ فصاروا فيها أعلامًا، فجرى التّشبيهُ بهم؛ فيشبّه الوفيُّ بالسمَوْءَل[٦٢]؛ والكريمُ بحاتم، والعادلُ بعُمَر[٦٣]، والحليمُ بالأحْنَف[٦٤]، والفصيحُ بسَحْبَان، والخطيبُ بقسٍّ[٦٥]، والشجاع بعَمْرو بن مَعْدِيكَرِبَ، والحكيمُ بِلُقمَان[٦٦]؛ والذكيُّ بإياس.

واشتُهِر آخرونُ بصفات ذميمة، فجرى التشبيه بهم أيضًا؛ فيشبهُ الْعَيُّ بباقل[٦٧] والأحمق بِهَبَنّقَةَ[٦٨] والنادمُ بالكُسَعِيِّ[٦٩] والبخيل بحاتم[٧٠]، والهَجّاءُ بالْحُطَيْئَةِ[٧١] والقاسي بالحجاج[٧٢].

---

(٦٢)هو السموءل بن حيان اليهودي. يُضرب به المَثَلُ في الوفاء، وهو من شعراء الجاهلية، توفى سنة ٦٢ق.هـ.

(٦٣)هو أميرُ المؤمنين، وخليفةُ المسلمين، وأحدُ السابقين إلى الإسلام الأولين، اشتُهِر بعدله وتواضعه وزُهده، وقد نصر الله به الإسلامَ وأعزَّه.

(٦٤)هو الأحنفُ بنُ قيس. من سادات التابعين، كان شهمًا حليمًا عزيزًا في قومه؛ إذا غَضبَ غضب له مائة ألف سيف لا يَسألون: لماذا غضب؟ توفى سنة ٦٧هـ.

(٦٥)هو قسُّ بنُ ساعدة الإياديُّ. خطيبُ العرب قاطبةً، ويُضرب به المثل في البلاغة والحكمة.

(٦٦)حكيم مشهور، آتاه الله الحكمة، أي: الإصابة في القول والعمل.

(٧٠)رجل اشتهر بالعِيّ؛ اشترى غزالا مرةً بأحدَ عشر درهمًا فسئل عن ثمنه؛ فمدّ أصابع كفيه يريد عشرة، وأخرج لسانه ليُكملها أحد عشر ففرّ الغزال؛ فضُرب به المثل في العيّ.

(٧١)هو لقب أبي الودعات يزيدَ بن ثروان القيسي، يُضرب به المثلُ في الحمق.

(٧٢)هو غامد بنُ الحرث، خرج مرةً للصيد فأصاب خمسة حُمُرٍ بخمسة أسُهمٍ، وكان يظن كل مرة أنه مخطئ؛ فغضِب وكسَر قوسه، ولما أصبح رأى الحمر مصروعة والأسهم مُخضبةً بالدم فندم على كسر قوسه، وعضّ على إبهامه فقطعها.

(٧٣)لقب رجل من بني هِلال اسمه مخارق، وكان مشهورًا بالبخل واللؤم.

(٧٤)شاعر مُخضرَم كان هجّاء مُرّا، ولم يكد يُسْلم من لسانه أحدٌ؛ هجا أمه وأباه ونفسه، وله ديوان شعر، وتوفى سنة ٣٥هـ.

(٧٥)هو الحجاج بن يوسف الثقفي، كان عاملا على العراق وخراسان لعبدالملك بن مروان ثم للوليد من بعده، وهو أحد جبابرة العرب، وله في القتل والعقوبات غرائبُ لم يُسمع بمثلها، تُوفِّي بمدينة واسط سنة ٩٧هـ. عن البلاغة الواضحة.

الباب الثاني في المجاز[٧٣]

-المجاز مُشتق مِن جاز الشيءَ يجوزه إذا تعدّاه – سمَّوا به اللّفظَ الذي يُعدَلُ به عمّا يوجبه أصلُ الوضع - لأنهم جازوا به موضعه الأصليَّ.

-والمجازُ من أحسنِ الوسائلِ البيانية التي تَهدي إليها الطبيعة لإيضاح المعنى؛ إذ به يخرجُ المعنى مُتصفًا بصفة حسيّة تكاد تعرضه على عيان السامع؛ لهذا شُغفت العربُ باستعمال المجاز؛ لميْلها إلى الاتِّساع في الكلام، وإلى الدلالة على كثرة معاني الألفاظ، ولما فيها من الدقة في التعبير؛ فيحصل للنفس به سُرورٌ وأريحيّة، ولأمرٍ مّا كثُر في كلامهم؛ حتى أَتَوا فيه بكل معنى رائق، وزيَّنوا به خُطَبهم وأشعارهم. **وفي هذا الباب مباحثُ:**

---

(٧٣)أقول: إن المخلوقات كلها تفتقر إلى أسماء يُستدل بها عليها؛ ليُعرف كل منها باسمه من أجل التفاهم بين الناس، وهذا يقع ضرورةً لا بد منها؛ فالاسم الموضوع بإزاء المسمى هو حقيقة له؛ فإذا نُقل إلى غيره صار مجازًا.

وأنواعُ المجاز كثيرة: أهمها "المجازُ العقلي" وقد تقدم الكلامُ عليه في صحيفة ٣٩، "والمجاز المرسل" وهو المقصود بالذات في هذا الباب.

تعريفه:

المجاز: هو اللفظُ المستعملُ في غير ما وُضِع له لعلاقةٍ، مع قرينةٍ دالة على عدم إرادة المعنى الأصلي.

-والعلاقة[٧٤] بين المعنى الحقيقيّ والمعنى المجازيّ قد تكون "المشابهةَ"، وقد تكون غيرها؛ فإذا كانت المشابهة فهو استعارة، وإلا فهو مجاز مرسلٌ[*].

-والقرينة قد تكون "لفظية" وقد تكون "حالية" كما سيأتي.

-وينقسم إلى أربعة أقسام: مجاز مفرد مُرسل، ومجاز مفرد بالاستعارة، ومجاز مركب مُرسل، ومجاز مركب بالاستعارة.

---

(٧٤)العلاقة هي المناسبة بين المعنى المنقول عنه والمنقول إليه، سُمِّيت بذلك؛ لأن بها يتعلق ويرتبط المعنى الثاني بالأول؛ فينتقل الذهنُ مِن الأول للثاني. وباشتراط ملاحظة العَلاقة يخرج الغلطُ كقولك: "خذ هذا الكتاب" مشيرًا إلى فرس مثلا؛ إذ لا عَلاقَة هنا ملحوظة.

[*]كثير من البلاغيين على أن الاستعارة باب متفرد، وأن المجاز قسمان: عقليّ ومرسل، وإذن فأبواب علوم البيان أو الأشكال أو الألوان أو الصور البيانية عندهم أربعة هي: التشبيه، والاستعارة والمجاز المرسل، والكناية، ويتضح من ذلك أن المجاز العقلي ليس من ألوان البيان، وأما عند المؤلف فالألوان البيانية ثلاثة: التشبيه، والمجاز، والكناية، وهي وجهة معتبرة كما سوف يتضح.

المبحث الثاني

في المجاز المفرد المُرْسل

المجاز المرسل[*]: هو الكلمة المستعملَة قصدًا في غير معناها الأصليِّ لملاحظة علاقة[٧٥] غير المشابهة مع قرينةٍ[٧٦] دالة على عدم إرادة المعنى الأصلي. وله **علاقات كثيرة أهمُّها:**

(*) ينبغي أن نفرق بين القرينة والعلاقة؛ فالقرينة هي الدليل على أن المتكلم لم يرد حقيقة ما يقول فكلمة "رعت" في قوله: "رعت الماشية الغيث" دليل على أن الماشية لم ترع الغيث الذي هو المطر، وإنما أراد النبات الذي نتج عن الغيث. ولو قال شربت لكان مريدًا حقيقة ما يقول، وقد تفهم القرينة من حال المتكلم دون أن يلفظ بها. وأما العلاقة فهي الارتباط أو المناسبة بين الكلمة الواردة في الجملة وما تدل عليه خارج الجملة (في الواقع) كالعلاقة بين الغيث والنبات وهي السببية وللمجاز المرسل علاقات أخرى كثيرة.

(٧٥) القرينة هي الأمر الذي يجعله المتكلمُ دليلاً على أنه أراد باللفظ غير ما وُضع له- وبتقييد القرينة بمانعة إلخ خرجت الكنايةُ؛ فإن قرينتها لا تمنع من إرادة المعنى الأصلي- والقرينة إما لفظية، أو حالية. فاللفظية هي التي يُلفظ بها في التركيب، والحالية هي التي تُفهم من حال المتكلم، أو من الواقع.

وأما القرينةُ التي تعين المراد من المجاز، فليست شرطًا.

(٧٦) سمي مُرسلاً؛ لإطلاقه عن التقييد بعلاقة واحدة مخصوصة؛ بل له علاقاتٌ كثيرة، واسم العلاقة يُستفاد مِن وصف الكلمة التي تُذكر في الجملة- وليس المقصدُ من العلاقة إلا بيان الارتباط والمناسبة؛ فالفطن يرى ما يناسب كُلَّ مقامٍ. سُمّي مرسلاً؛ لأنه أُرسِل عن دعوى الاتحاد المعتبرة في الاستعارة.

١-السَّببية: هي كُون الشيء المنقول عنه سببًا، ومُؤثرًا في غيره، نحو: "رَعَت الماشيةُ الغيثَ"، أي النَّبات؛ لأن الغيثَ (أي المطر) سببٌ فيه[٧٧] وقرينته لفظيّة، وهي رعت؛ لأن العلاقة تُعتبر مِن جهة المعنى المنقولِ عنه.

٢-والمسببية: هي أن يكون المنقول عنه مُسببًا، وأثرًا لشيء آخر، نحو: ﴿وَيُنزِلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾[٧٨] أي مطرًا يُسبِّبُ الرزِّق.

٣-والكُليَّة: هي كون الشيء متضمنًا للمقصود ولغيره.

---

(٧٧)كقول الشاعر:

لـــه أيـــاد عـــليّ سابغـــة	أعـــدّ مـــنها ولا أعَـــدِّدها

وكقوله:

قامـــتْ تظلّلنـــي مـــن الـــشمس	نفـــس أحـــبّ إليّ مـــن نفـــسي
قامـــتْ تظلّلنـــي ومـــن عجـــب	شـــمسٌ تُظلّلنـــي مـــن الـــشمس

فائدة: القصدُ مِن العلاقة إنما هو تحقق الارتباط، والذكي يعرف مقال كل مقام. ثم إن العلاقة: قيل: تُعتبر من جهة المعنى المنقول عنه الذي هو الحقيقي، وقيل: تُعتبر من جهة المعنى المنقول إليه؛ لأنه المراد، وقيل: تُعتبر من جهتهما؛ رعايةً لحقَّيهما.

واعلم أن اللفظ الواحد قد يكون صالحًا بالنسبة إلى معنى واحد، لأنْ يكون مجازًا مرسلاً، واستعارة باعتبارين.

(٧٨)غافر:١٣.

نحو: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾[٧٩] أي أناملهم، والقرينة حالية، وهي: استحالة إدخال الأُصبع في الأُذُن.

ونحو: "شربت ماء النيل". والمراد بعضه، بقرينة: شربتُ.

٤-**والجزئية**: هي كون المذكور ضمن شيء آخر. نحو: "نَشَر الحاكمُ عُيونَه في المدينة"، أي الجواسيس؛ فالعيون مجازٌ مرسل، علاقته الجزئية؛ لأن كل عين جزءٌ من جاسوسها، والقرينة: الاستحالة.

وكقوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾[٨٠].

٥-**واللازميَّة**: هي كون الشيء يجب وجوده، عند وجود شيء آخر. نحو: "طلع الضَّوء"، أي الشمس؛ فالضوء مجاز مرسل. علاقته اللازمية؛ لأنه يُوَجد عند وجود الشمس. والمعتبر هنا اللزوم الخاص، وهو عدم الانفكاك.

٦-**والملزومية**: هي كون الشيء يجب عند وجوده وجودُ شيء آخر، نحو: "ملأت الشَّمسُ المكانَ"، أي الضّوء؛ فالشمس مجاز مرسل، علاقته الملزومية؛ لأنها متى وُجدت وُجد الضّوء، والقرينة "ملأت".

---

(٧٩)البقرة:١٩.

(٨٠)النساء:٩٢.

٧-**والآلية**: هي كون الشيء واسطةً لإيصال أثر شيء إلى آخر، نحو ﴿**وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ**﴾[٨١] أي ذِكْرًا حسنًا؛ فلسان بمعنى ذِكر حسن مجاز مرسل، علاقته الآلية؛ لأن اللّسان آلة في الذكر الحسن.

٨-**والإطلاق**: هي كون الشيء مُجردًا من القيود، نحو قوله تعالى ﴿**فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ**﴾[٨٢] أي عِتْقُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ؛ فالرقبة مجاز مرسل، علاقته الإطلاق؛ فإن المراد منها المؤمنة، وإطلاقُ الرَّقبة على جميع الجسم مجازٌ مرسل، علاقته الجزئية.

٩-**والتقييد**: هو كون الشيء مُقَيَّدًا بقيد أو أكثر. نحو: "ما أغلظ جَحْفلة زَيد". أي شفته. فجحفلة زَيد: مجاز مرسل، علاقته التّقييد؛ لأنها مقيدة بشفة الفرس.

١٠-**والعموم**: هو كونُ الشيء شاملاً لكثير، نحو قوله تعالى ﴿**أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ**﴾[٨٣]. أي "النبي" ﷺ؛ فالناس مجاز مُرسَل، علاقته: العموم، ومثله قوله

---

(٨١)الشعراء:٨٤.

(٨٢)المجادلة:٣.

(٨٣)النساء:٥٤.

تعالى ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾[٨٤] فإن المراد من الناس واحد، وهو "نعيم بنُ مسعود الأشجعي"[*].

١١-**والخصوص**: هو كونُ اللفظ خاصًّا بشيء واحد؛ كإطلاق اسم الشخص على القبيلة، نحو: "ربيعة، وقريش".

١٢-**واعتبار ما كان**: هو النظر إلى الماضي. نحو: ﴿وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ﴾[٨٥]. أي الذين كانوا يتامى، ثم بلَغوا؛ فاليتامى مجاز مرسل، علاقته: اعتبار ما كان. ومثل هذا قولُ مَنْ شرب القهوة: "خُذ الملئان".

١٣-**واعتبار ما يَكون**: هو النظر إلى المستقبل. نحو: "طحنت خبزًا". أي حبًّا يؤول أمرُه إلى أن يكون خبزًا؛ فخبزًا مجاز مرسل، علاقته اعتبار ما يؤول إليه. ومثله ﴿إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا﴾[٨٦] أي عصيرًا يؤول أمرُه إلى خمر؛ لأنه حالَ عصرِه لا يكون خمرًا؛ فالعلاقة هنا اعتبار ما يؤول إليه.

---

(٨٤)آل عمران:١٧٣.

(*)في قول مجاهد ومقاتل وعكرمة والكلبي واللفظ عام ومعناه خاص- (القرطبي:الجامع لأحكام القرآن ٢/ ٢٦٢).

(٨٥)النساء:٢.

(٨٦)يوسف:٣٦.

ونحو: ﴿وَلا يَلِدُوا إِلا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾[٨٧] والمولودُ حين يُولَد لا يكون فاجرًا، ولا كفارًا؛ ولكنه قد يكون كذلك بعد الطفولة؛ فأُطلق المولود الفاجر، وأُريدَ به الرجل الفاجرُ، والعلاقة: اعتبار ما يكون.

١٤-**والحاليّة**: هي كون الشيء حالاً في غيره. نحو ﴿فَفِي رَحْمَةِ اللهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[٨٨] المرادُ من الرَّحمة: الجنةُ التي تحل فيها الرّحمة؛ فرحمة: مجاز مرسل، علاقته الحالية، ومثله: "فلان جالس في سرور".

١٥-**والمحلّية**: هي كون الشيء يحلُّ فيه غيره، كقوله تعالى ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾[٨٩] أي أهل ناديه، وكقوله تعالى ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾[٩٠] والقول بالألسنة.

١٦-**والبدَلية**: هي كون الشيء بدلاً عن شيء آخر، كقوله تعالى ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاةَ﴾[٩١] والمراد: الأداء.

١٧-**والمُبدلية**: هي كونُ الشيء مُبدلاً منه شيءٌ آخر، نحو: "أكلت دَم زيد"، أي دِيَتَهُ؛ فالدَّم مجاز مرسل، علاقته المبدلية؛ لأن الدَّم مُبدل عن الدِّيَة.

---

(٨٧)نوح:٢٧.

(٨٨)آل عمران:١٠٧.

(٨٩)العلق:١٧.

(٩٠)آل عمران:١٦٧.

(٩١)النساء:١٠٣.

١٨-**والمُجاوَرة**:هي كونَ الشيء مُجاورًا لشيء آخر، نحو:"كلّمتُ الجِدارَ والعامودَ".أي الجالس بجوارهما، فالجدار والعامود مجازان مرسلان،علاقتهما المجاورة.

١٩-**والتعلُّق الاشتقاقي**: هو إقامةُ صيغة مقامَ أخرى، وذلك:

(أ)كإطلاق المصدر على المفعول في قوله تعالى ﴿صُنْعَ اللهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾[٩٢] أي: مصنوعه.

(ب)وكإطلاق الفاعل على المصدر في قوله تعالى ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾[٩٣] أي: تكذيب.

(ج)وكإطلاق الفاعل على المفعول في قوله تعالى ﴿لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ﴾[٩٤] أي: لا معصوم[*].

(د)وكإطلاق المفعول على الفاعل في قوله تعالى ﴿حِجَابًا مَسْتُورًا﴾[٩٥] أي: ساترًا.

-والقرينةُ على مجازية ما تقدّم هي: ذِكْرُ ما يمنع إرادة المعنى الأصلي.

---

(٩٢)النمل:٨٨.

(٩٣)الواقعة:٢.

(٩٤)هود:٤٣.

[*]يجوز أن يكون تفسيرها لا شيء يعصم من أمر الله إلا الله، وبذا لا يكون في الآية مجاز، راجع تفسيرها في ابن كثير.

(٩٥)الإسراء:٤٥.

نَمُوذَجٌ

أبا الْمِسْكِ، أرْجو مِنْكَ نَصْرًا عَلى الْعِدا	وآمُلُ عِزًّا يَخْضِبُ البِيضَ بِالدّمِ[٩٦]
وَيَوْمًا يَغِيظ الْحَاسِدِينَ وَحالةً	أُقِيمُ الشَّقا فِيها مُقَامَ التَّنَعُّمِ[٩٧]

(٢)قال الله تعالى ﴿لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ إِلا مَنْ رَحِمَ﴾[٩٨].

(٣)"ذهبنا إلى حديقة غَنَّاء".

(٤)"بَنى إسماعيلُ كثيرًا من المدارس بمصر".

(٥)تكاد عَطَاياهُ يُجَنُّ جُنونُهَا	إذا لَمْ يُعَوِّذْهَا بِرُقْيَةِ طالِبِ[٩٩]

الإجابة

(١)"عِزا يخْضب البِيض بالدم".

إسنادُ خَضْب السيوف بالدم إلى ضمير العز غيرُ حقيقي؛ لأن العز لا يخضب السيوف، ولكنّهُ سبب القوة، وجمع الأبطال الذين يخضبون السيوف بالدم؛ ففي العبارة مجاز عقليّ علاقتُه السببية.

---

(٩٦)أبو المسك: كُنية كافور الإخشيدي، والبيض: السيوف، يقول: أرجو منك أن تنصرني على أعدائي، وأن توليني عزا أتمكن به منهم، وأخضب سيوفي بدمائهم.

(٩٧)يقول: وأرجو أن أبلغ بك يومًا يغتاظ فيه حُسّادي؛ لما يرون من إعظامك لقدري، وكذلك أرجو أن أبلغ بك حالة تساعدني على الانتقام منهم، فأتنعم بشقائي في حربهم.

(٩٨)هود:٤٣.

(٩٩)يعوذها: يحصّنها، والرُّقية: العوذة، جمعها رُقىً.

(٢)"ويومًا يغيظُ الحاسدين".

إسنادُ غيظ الحاسدين إلى ضمير اليوم غيرُ حقيقي؛ غير أن اليوم هو الزمان الذي يحصُل فيه الغيظُ؛ ففي الكلام مجاز عقلي علاقته الزمانية.

(٣)﴿لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ﴾.

المعنى لا معصوم[١٠٠] اليوم من أمر الله إلا مَن رحِمه اللهُ؛ فاسم الفاعل أُسنِد إلى المفعول، وهذا مجاز عقلي علاقته المفعولية.

(٤)"ذهبنا إلى حديقة غَنَّاء".

غنَّاء: مشتقة من الغَنِّ، والحديقة لا تَغَنّ، وإنما الذي يغَنُّ عصافيرُها أو ذُبابها؛ ففي الكلام مجاز عقلي علاقته المكانية.

(٥)"بنى إسماعيل كثيرًا من المدارس".

إسماعيل (أمير مصر) لم يبنِ بنفسه؛ ولكنه أمر؛ ففي الإسناد مجاز عقلي علاقته السببيّة.

(٦)"تكاد عطاياه يُجن جنونُها".

إسناد الفعل إلى المصدر مجاز عقلي، علاقته المصدرية.

---

(١٠٠)يجوز أن تكون "عاصم" مستعملة في حقيقتها، ويكون المعنى: لا شيء يعصم الناسَ مِن قضاء الله إلا مَن رحمه اللهُ منهم؛ فإنه تعالى هو الذي يعصمه.

إذا تأملتَ أنواع المجاز المرسَلِ والعقليِّ رأيت أنها في الغالب تؤدِّي المعنى المقصودَ بإيجاز؛ فإذا قلت: "هَزَم القائدُ الجيْشَ" أو "قرَّرَ المجلسُ كذا"؛ كان ذلك أوجز من أن تقول: "هزمَ جنودُ القائدِ الجيْشَ"، أو "قرَّر أهلُ المجلس كذا" ولا شك أن الإيجاز ضَرْبٌ من ضروب البلاغة.

وهناك مظهرٌ آخرُ للبلاغة في هذين المجازين، هو المهارة في تَخَيُّر العلاقة بين المعنى الأصليِّ والمعنى المجازيِّ، بحيث يكون المجاز مُصَوِّرًا للمعنى المقصود خيرَ تصوير، كما في إطلاق العينِ على الجاسُوس، والأُذُن على سريع التأثر بالوشاية، والخُفِّ والحافر على الجِمال والخيل (في المجاز المرسل). وكما في إسناد الشيء إلى سببه، أو مكانه، أو زمانه (في المجاز العقليِّ)؛ فإن البلاغةَ تُوجِبُ أن يُخْتَار السبب القويُّ، والمكان والزمان المختصّان.

وإذا دَقّقت النظر رأيتَ أنَّ أغلبَ ضُروبِ المجاز المرسل والعقلي لا تخلو من مبالغة بديعة، ذات أثرٍ في جعل المجاز رائعًا خلابا؛ فإن إطلاقَ الكل على الجزء مبالغة، ومثله إطلاق الجزء وإرادةُ الكل، كما إذا قلت: "فلان فَمٌ"، تريد أنه شَرِهٌ يَلْتَقِمُ كلَّ شيء، أو "فلان أنف"، عندما تريد أن تَصفه بعِظَمِ الأنف، فتبالغَ فتجعله كلّه أنْفًا.

ومما يُؤثر عن بعض الأُدباء في وصف رجل أُنافِيٍّ[١٠١] قوله: "لَسْتُ أدْري: أهُوَ فِي أنْفِهِ، أمْ أنْفهُ فِيهِ؟".

---

(١٠١) الأنافي: عظيم الأنف، -عن البلاغة الواضحة.

المبحث الثالث

في المجاز بالاستعارة

تعريف الاستعارة:

الاستعارة في اللغة من قولهم: استعار المالَ إذا طلبه عاريةً.

وفي اصطلاح البيانيين: هي استعمال اللّفظ في غير ما وضِع له لعَلاقة المُشابهة بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعملِ فيه، مع قرينةٍ صارفةٍ عن إرادة المعنى الأصلي.

والاستعارة ليست إلا تشبيهًا مختصرًا؛ لكنها أبلغُ منه[102] كقولك: "رأيتُ أسدًا في المدرسة". فأصلُ هذه الاستعارة: "رَأيت رجلاً شجاعًا كالأسد في

---

(102)فأصلُ الاستعارة تشبيه حُذف أحدُ طرفَيْهِ، ووجهُ شبهِه وأداتهُ- ولكنها أبلغُ منه؛ لأن التشبيه مهما تناهى في المبالغة؛ فلا بد فيه من ذِكْرِ المشبه والمشبه به. وهذا اعتراف بتباينهما، وأن العلاقة ليست إلا التشابه والتّداني؛ فلا تصل إلى حد الاتحاد بخلاف الاستعارة؛ ففيها دعوى الاتحاد والامتزاج، وأن المشبهَ والمشبهَ به صارا معنى واحدًا يصدق عليها لفظٌ واحد؛ فالاستعارة مجاز علاقته المشابهة.

واعلم أنّ حُسْنَ الاستعارة "غير التخييلية" لا يكون إلا برعاية جهات التشبيه؛ وذلك بأن يكون وافيًا بإفادة الغرض منه؛ لأنها مبنية عليه؛ فهي تابعة له حُسنًا وقُبحًا.

المدرَسة"؛ فحذفتَ المشبه "رجلاً" والأداة "الكاف"- ووجه التشبيه "الشجاعة"، وألحقتَه بقرينَة "المدرسَة"؛ لتدلّ على أنكَ تريد بالأسد شُجاعًا.

وأركان الاستعارة ثلاثة:

١-مستعار منه- وهو المشبه به.

٢-ومستعار له- وهو المشبه.

ويقال لهما: الطّرفان.

٣-ومستعار – وهو اللفظ المنقول.

-ولا بُد فيها من عدم ذِكْرِ وجه الشبه، ولا أداة التشبيه؛ بل ولا بُدّ أيضًا من تناسي التّشبيه الذي من أجله وقعت الاستعارة فقط، مع ادّعاء أن المشبه عينُ المشبه به، أو ادّعاء أنّ المشبه فرد من أفراد المشبه به الكلّي **"بأن يكون اسم جنس أو عَلَم جنس"**. ولا تتأتّى الاستعارةُ في "العلم الشخصي[١٠٣]"؛ لعدم إمكان دخول شيء في الحقيقة الشخصيّة؛ لأنّ نفس تصوُّر الجزئي يمنع من تصوّر الشّركة فيه،

---

(١٠٣)يعني أن الاستعارة تقتضي إدخال المشبه في جنس المشبه به؛ ولذلك لا تكون علمًا؛ لأن الجنس يقتضي العموم، والعلم يُنافي ذلك بما فيه من التشخص، إلا إذا كان العلَمُ يتضمن وصفية قد اشتُهِر بها؛ "كسحبان" المشهور بالفصاحة فيجوز فيه ذلك؛ لأنه يستفيد الجنسية من الصفة، نحو: "سمعتُ اليوم سَحبان" أي خطيبًا فصيحًا- وهلم جرا.

إلا إذا أفاد العلَم الشخصي وصفًا به يصحّ اعتباره كُلِّيا فتجوز استعارته؛ كتضمُّن "حاتم" للجُود و"قُس" للنصاحَة، فيقال: "رأيت حاتمًا وقُسا" بدعوى كليّة حاتم وقس، ودخول المشبه في جنس الجواد، والفصيح.

وللاستعارة أجملُ وقعٍ في الكتابة؛ لأنها تُجدي الكلامَ قوةً، وتكسوه حسنا ورونقًا، وفيها تُثار الأهواء والإحساسات.

المبحث الرابع

في تقسيم الاستعارة باعتبار ما يُذكَرُ من الطرفينِ

إذا ذُكِر في الكلام لفظُ المشبه بـه فقـط؛ فاسـتعارة تـصريحية أو مـصرَّحة[١٠٤] نحو:

فـأمطرتْ لُؤْلـؤًا مـن نَـرْجِس وسَـقتْ	وردًا وَعـضَّتْ عـلى العنّـاب بـالبَرَدِ

فقد استعار: (اللؤلؤ، والنّرْجسَ، وَالوَرد، والعُنَّاب، والـبَرَد)، (للـدموع، والعيون، والخدود، والأنامل، والأسنان).

وإذا ذُكر في الكلام لفظُ المشبه فقـط، وحُـذف فيـه المشبهُ بـه، وأُشِـيرَ إليـه بِذِكْر لازمه المُسَمَّى "تخييلا"؛ فاستعارة **مكْنيّة أو بالكناية**، كقوله:

وإذا المنيَّـــة أَنْـــشَبَتْ أَظْفَارَهـــا	أَلْفَيْـــتَ كـــلَّ تَمِيمَـــة لا تنْفَـــعُ

---

(١٠٤)معنى تصريحية: أي مُصرَّح فيها باللفظ الدالّ على المشبه به المراد به المشبه. ومعنى مكنية: أي مُخفى فيها لفظُ المشبه به؛ استغناءً بذِكر شيء من لوازمه؛ فلم يُذكَر فيها من أركان التشبيه سوى المشبه.

فقد شبَّه المنيَّة، بالسّبع؛ بجامع الاغتيال في كلٍّ، واستعار السَّبع للمنيّة، وحذفه، ورمزَ إليه بشيء من لوازمه وهو الأظفار، على طريق الاستعارة المكنية الأصليَّة، وقرينتها لفظة "أظفار" ثم أخذ الوهمُ في تصوير المنية بصورة السبع؛ فاخترع لها مثل صورة الأظفار، ثم أطلق على الصورة التي هي مثل صورة الأظفار لفظ الأظفار.

فتكون لفظة "أظفار" استعارة تخييلية؛ لأن المستعارَ له لفظ أظفار صورة وهمية تشبه صورة الأظفار الحقيقية، وقرينتها إضافتها إلى المنية.

-ونظرًا إلى أن الاستعارةَ التخييلية قرينةُ المكنية؛ فهي لازمةٌ لها، لا تُفارقها؛ لأنه لا استعارة بدون قرينة.

-وإذًا تكون أنواع الاستعارة ثلاثة: **تصريحية، ومكنية، وتخييلية.**

المبحث الخامس

في الاستعارة باعتبار الطَّرفين

إنْ كان المستعارُ له مُحَقَّقًا حِسا؛ "بأن يكون اللفظُ قد نُقل إلى أمر معلوم، يُمكن أن يُشار إليه إشارة حِسِّيَّة" كقولك: "رأيت بحرًا يُعطى".

أو كان المستعار له مُحققًا عقلاً؛ "بأن يمكن أن يُنصّ عليه، ويُشار إليه إشارةً عقلية"، كقوله تعالى ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[١٠٥] أي: الدِّين الحقَّ؛ (فالاستعارة تحقيقية).

وإنْ لم يكن المستعار له محققًا، لا حِسًّا ولا عقلاً (فالاستعارة تخييليةٌ)، وذلك كالأظفار في قولك: "أنشبت المنيّة أظفارها بفلان"؛ فإنه لما شُبِّهت المنية بالسَّبع أخذت القوةُ المفكِّرة تتخيل للمنيّة صورة شبيهة بالأظفار؛ فشُبهت الصورة المتخيَّلة بالصورة المحققة، واستُعير لفظ الأظفار من الصورة المحققة إلى الصورة المتخيلة، على طريق الاستعارة التخييلية. (وسميت تخييليّة لأن إثبات الأظفار للمشبه خيَّل اتحاده مع المشبه به) وحينئذ التخييلية لا تُفَارق المكنيّة؛ لأنها قرينتُها، ولا استعارةَ بدون قرينة كما سبق. هذا إذا كان لازمُ المشبه به في المكنية واحدًا، أما إذا كانت اللّوازم متعددةً؛ فيكون أقواها لزومًا قرينةً لها، وما عداه ترشيحٌ وتقوية لها، كما سيأتي.

---

(١٠٥) الفاتحة: ٦.

المبحث السادس

في الاستعارة باعتبار اللفظ المستعار

١-إذا كان اللفظُ المستعار "اسما جامدًا لذات" كالبدر إذا استُعير للجميل، "أو اسما جامدًا لمعنى" كالقلت إذا استعير للضرب الشديد؛ سُميت الاستعارة "أصلية" كقوله تعالى ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾[١٠٦] وكقوله تعالى ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾[١٠٧] وسُميت أصليّة؛ لعدم بنائها على تشبيه تابع لتشبيه آخرَ مُعتبرٍ أوَّلا.

٢-وإذا كان اللّفظ المُستعار فعلاً[١٠٨] أو اسمَ فِعلٍ، أو اسمًا مشتقًا، أو حرفًا، أو اسمًا مُبهَمًا، فالاستعارة "تصريحية تبعية".

---

(١٠٤)إبراهيم:١، يقال في إجراء الاستعارة في الآية الأولى: شُبهت الضلالة بالظلمة، بجامع عدم الاهتداء في كل، واستُعير اللفظ الدال على المشبه به وهو الظلمة، للمشبه وهو الضلالة، على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية.

(١٠٧)الإسراء:٢٤، ويقال في إجراء الاستعارة في الآية الثانية: شُبه الذل بطائر، واستُعير لفظ المشبه به وهو الطائر، للمشبه وهو الذل، على طريق الاستعارة المكنية الأصلية، ثم حُذف الطائر، ورُمز إليه بشيء من لوازمه وهو الجناح.

(١٠٨)مثال الاستعارة التصريحية في الفعل: "نطقت الحال بكذا" وتقريرها أن يُقال: شُبهت الدلالة الواضحة، بالنطق بجامع إيضاح المعنى في كلٍّ، واستُعير النطق للدلالة الواضحة، واشتُق من النطق بمعنى الدلالة الواضحة نَطقت بمعنى دلَّت على سبيل

الاستعارة التصريحية التبعية. ونحو ﴿وَيُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾[الروم:١٩]. يقدر تشبيه تزيينها بالنبات ذي الخضرة والنضرة، بالإحياء، بجامع الحسن أو النفع في كلٍّ، ويُستعار الإحياء للتزيين، ويُشتق من الإحياء (بمعنى التزيين) يحيى بمعنى يزين، استعارة تبعية؛ لجريانها في الفعل تبعًا لجريانها في المصدر –هذا إذا كانت الاستعارة في الفعل باعتبار مدلول صيغته، أي مادته وهو الحدث. وأما إذا كانت باعتبار مدلول هيئته وهو الزمن كما في قوله تعالى ﴿أَتَى أَمْرُ اللهِ﴾ [النحل:١]. فتقريرها أن يُقال: شبه الإتيان في المستقبل بالإتيان في الماضي، بجامع تحقُّق الوقوع في كلٍّ، واستُعير الإتيان في الماضي للإتيان في المستقبل، واشتُقّ منه أتى بمعنى يأتي، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية، ونحو ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ [الأعراف:٤٤]. أي ينادى – شبّه النِّداء في المستقبل بالنداء في الماضي، بجامع تحقق الوقوع في كلٍّ، ثم استُعير لفظ النداء في الماضي للنداء في المستقبل، ثم اشتُقَّ منه نادى بمعنى يُنادي، نحو قوله تعالى ﴿مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ [يس:٥٢]. إنْ قدّر المرقد للرقاد مستعارًا للموت؛ فالاستعارة أصلية، وإنْ قدّر لمكان الرّقاد مستعارًا للقبر؛ فالاستعارة تبعية؛ لأنها في اسم المكان؛ فلا يُستعار المرقد للقبر إلا بعد استعارة الرقاد للموت. ومثال الاستعارة في اسم الفاعل، "زيد قاتلٌ عمرًا"، إذا كان عمرو مضروبًا ضربًا شديدًا. ومثالها في اسم المفعول: "عمرو مقتول لزيد". إذا كان زيد ضاربًا لعمرو ضربًا شديدًا. وإجراء الاستعارة فيهما أن يُقال: شبه الضرب الشديد بالقتل، بجامع شدة الإيذاء في كلٍّ، واستعير اسم المشبه به للمشبه، واشتق من القتل بمعنى الضرب الشديد قاتلٌ أو مقتول، بمعنى ضارب= =أو مضروب، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية. ومثالها في الصفة المشبهة: "هذا حَسنُ الوجه" مشيرًا إلى قبيحه، وإجراء الاستعارة فيه أن يُقال: شبه القبح بالحسن، بجامع تأثر النفس في كلٍّ، واستعير الحسن للقبح تقديرًا، واشتق من الحسن بمعنى القبح حسن بمعنى قبيح، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية التهكمية. ومثال الاستعارة في أفعل التفضيل: "هذا

أقتلُ لعبيده مِن زيد" أي أشدُّ ضربًا لهم منه. ومثال اسم الزمان والمكان: "هذا مَقتلُ زيد" مشيرًا إلى مكان ضربه، أو زمانه. ومثال اسم الآلة: "هذا مِفتاح الملك" مشيرًا إلى وزيره، وإجراؤها أن يُقال: شُبّهت الوزارة، بالفتح للأبواب المغلقة، بجامع التوسُّل إلى المقصود في كلٍّ، واستعير الفتح للوزارة، واشتق منه مفتاح بمعنى وزير. ومثال اسم الفعل المشتق: "نـزالِ" بمعنى انـزل. تريد به ابعد؛ فتقول شبه معنى البعد بمعنى النزول، بجامع مطلق المفارقة في كلٍّ، واستعير لفظ النزول لمعنى البعد، واشتق منه نزال بمعنى ابعد. ومثال اسم الفعل غير المشتق: "صه" بمعنى اسكُتْ عن الكلام، تريد به اترك فعل كذا؛ فتقول: شبه ترك الفعل بمعنى السكوت، واستعير لفظُ السكوت لمعنى ترك الفعل، واشتق منه اسكت بمعنى اترك الفعل، وعبر بدل اسكت بصه. ومثال المصغر "رُجَيْلٌ" لمتعاطي ما لا يليق. ومثال المنسوب "قُرشي" للمتخلق بأخلاق قريش وليس منهم. ومثال الاستعارة في الحرف قوله تعالى ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص:٨]. وإجراؤها أن يُقال: شبهت المحبة والتبني بالعداوةِ والحزنِ اللّذينِ هما العلة الغائية للالتقاط، بجامع مطلق الترتيب، واستعيرت اللام من المشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التصريحية التبعية. واعلم أن اللام لم تُستعمل في معناها الأصلي وهو العلّة؛ لأن علّة التقاطهم له أن يكون لهم ابنًا، وإنّما استعملت مجازًا لعاقبة الالتقاط، وهي كونه لهم عدوًا؛ فاستُعيرت العلّة للعاقبة بجامع أن كلا منهما مترتب على الالتقاط، ثم استعيرت اللام تبعًا لاستعارتها؛ فالمستعار منه "العلة"، والمستعار له "العاقبة"، والترتب على الالتقاط هو "الجامع"، و القرينة على المجاز "استحالة التقاط الطفل ليكون عدوا". وقوله تعالى ﴿وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾[طه:٧١]. وإجراؤها أن يُقال: شبه مطلق استعلاء بمطلق ظرفية، بجامع التمكُّن في كلٍّ، فسرى التشبيه من الكليين للجزئيات التي هي معاني الحروف، فاستعير لفظ "في" الموضوع لكل جزئي من جزئيات الظرفية لمعنى "على" على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية. ومثال المكنية

٣-وإذا كان اللفظ المستعار اسمًا مشتقًا، أو اسمًا مبهمًا "دون باقي أنواع التبعيّة المتقدمة" فالاستعارة "تبعيَّة مكنية".

التبعية في الاسم المشتق: "يعجبني إراقةُ الضارب دمَ الباغي". وإجراء الاستعارة أن يُقال: شبه الضرب الشديد بالقتل، بجامع الإيذاء في كلٍّ، واستعير القتل للضرب الشديد،= =واشتق من القتل قاتل بمعنى ضارب ضربًا شديدًا، ثم حُذف وأُثبت له شيء من لوازمه، وهو الإراقة، على سبيل الاستعارة المكنية التبعية. ومثالها في الاسم المبهم قولك لجليسك المشغول عنك: "أنت مطلوبٌ منك أن تسير إلينا الآن". شبه مطلَق مخاطَبٍ بمطلَقِ غائب؛ فسرى التشبيه للجزئيات، واستعير الثاني للأول، ثم استعير بناءً على ذلك:

ضميرُ الغائب للمخاطب، وحذف وذُكِر المخاطب، ورُمز إلى المحذوف بذكر لازمه، وهو طلبُ السير منه إليك، وإثباته له تخييل.

واعلم أن استعارة الأسماء المبهمة (أعني الضمائر، وأسماء الإشارة، والموصولات) تبعيةٌ؛ لأنها ليست باسم جنس لا تحقيقًا ولا تأويلاً، ولأنها لا تستقل بالمفهومية؛ لأن معانيها لا تتم ولا تصلح لأنْ يُحكم عليها بشيء؛ ما لم تصحب تلك الألفاظ في الدلالة عليها ضميمة تتم بها - كالإشارة الحسية والصلة والمرجع- فلا بد أن تعتبر التشبيه أولا في كليات تلك المعاني الجزئية، ثم سريانه فيها لتبنى عليه الاستعارة -مثلا في استعارة لفظ "هذا" لأمر معقول، يشبه المعقول المطلق في قبول التمييز، فيسري التشبيه إلى الجزئيات، فيستعار لفظ هذا من المحسوس الجزئي، للمعقول الجزئي الذي سَرى إليه التشبيه؛ فهي تبعية. والاستعارة في الضمير والموصول كالتعبير عن المذكر بضمير المؤنث أو بموصولها عنه لشبه بها، أو عكسه، فتشبه المذكر المطلق بالمؤنث المطلق، فيسري التشبيه، فتستعير الضمير أو الموصول للجزء الخاص.

وسُمِّيت تبعيّة؛ لأن جريانَها في المشتقات، والحروف تابعٌ لجريانها أوّلاً في الجوامد، وفي كلِّيات معاني الحروف -يعني أنها سُمِّيت تبعيَّة لتبعيتها لاستعارة أُخرى؛ لأنها في المشتقات تابعةٌ للمصادر، وفي معاني الحروف تابعةٌ لمتعلَّق معانيها؛ إذ معاني الحروف جزئية لا تُتَصوّر الاستعارة فيها إلا بواسطة كُلِّيٍّ مُستقلٍّ بالمفهوميّة؛ ليتأتّى كونها مُشبها ومشبهًا بها، أو محكومًا عليها، أو بها، نحو: "ركب فلان كِتفَيْ غريمه"[109] أي لازمَه مُلازمةً شديدة.

وكقوله تعالى ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ﴾[110]. أي: تمكَّنوا مِن الحصول على الهداية التّامّة[111] ونحو: "أَذَقْتهُ لِباسَ المَوْتِ"[112] أي: ألبستُه إياه.

---

(109)يُقال في إجرائها: شبه اللزوم الشديد، بالركوب، بجامع السلطة والقهر، واستعير لفظ المشبه به وهو الركوب، للمشبه وهو اللزوم، ثم اشتق من الركوب بمعنى اللزوم ركب بمعنى لزم، على طريق الاستعارة التصريحية التبعية.

(110)البقرة:٥.

(111)يقال في إجرائها: شبه مطلق ارتباط -بين مهدي وهدى- بمطلق ارتباط بين مستعلٍ ومستعلَى عليه، بجامع التمكُّن في كلٍّ؛ فسرى التشبيه من الكليين للجزئيات، ثم استعيرت "على" من جزئي من جزئيات المشبه به لجزئي من جزئيات المشبه، على طريق الاستعارة التصريحية التبعية.

(112)يقال في إجرائها: شبهت الإذاقة، بالإلباس، واستعير الإلباس للإذاقة، واشتق منه ألبس بمعنى أذاق، على طريق الاستعارة المكنية التبعية، ثم حُذف لفظ المشبه به، ورُمز إليه بشيء من لوازمه، وهو اللباس.

تنبيهات

الأول: كلُّ تبعية قرينتُها مكنيّة.

الثاني: إذا أجريت الاستعارة في واحدة منهما؛ امتنع إجراؤها في الأخرى.

الثالث: تقسيم الاستعارة إلى أصلية وتبعية عامّ في كلٍّ مِن الاستعارة التصريحية، والمكنية.

في تقسيم الاستعارة المصرحة باعتبار الطرفين إلى: عنادية، ووفاقية

فالعنادية: هي التي لا يمكن اجتماعُ طرفَيْها في شيء واحد؛ لتنافيهما.

والوفاقية: هي التي يمكن اجتماع طرفيها في شيء واحد؛ لعدم التنافي.

مثالها قوله تعالى ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾[١١٣]. أي ضالا فهديناه؛ ففي هذه الآية استعارتان:

الأولى: في قوله: "ميتا" شبه الضلال بالموت، بجامع ترتُّب نفي الانتفاع في كلٍّ، واستعير الموت للضلال، واشتق من الموت بمعنى الضّلال "ميتا" بمعنى "ضالاً"، وهي عنادية؛ لأنه لا يمكن اجتماعُ الموت والضلال في شيء واحد.

والثانية: استعارة الإحياء للهداية، وهي وفاقية؛ لإمكان اجتماع الإحياء والهداية في الله تعالى.

-ثم العنادية قد تكون تمليحية؛ أي المقصود منها التمْليحُ والظّرافةُ، وقد تكون تهكمية؛ أي المقصود منها التهكُّم والاستهزاء، بأن يُستعمل اللّفظ في ضد معناه، نحو: "رأيت أسدًا" تريد جبانًا، قاصدًا التّمليح والظّرافة، أو التهكم والسّخرية، وهما اللّتان

---

(١١٣)الأنعام:١٢٢.

نـزل فـيهما التـضاد منـزلةَ التناسـب، نحـو:﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَـذَابٍ أَلِـيمٍ﴾[١١٤]. (اسـتعيرت البـشارة التـي هـي الخـبر السارّ) للإنـذار (الـذي هـو ضـده) بإدخـال الإنـذار في جـنس البشارة، على سبيل التّهكم والاستهزاء.

---

(١١٤)آل عمران:٢١.

في تقسيم الاستعارة باعتبار الجامع

الاستعارة المصرحة باعتبار الجامع نوعان:

١-**عاميّة**: وهي القريبةُ المُبتذلة التي لاكَتْها الألسُن؛ فلا تحتاج إلى بحث، ويكون الجامع فيها ظاهرًا، نحو: "رأيتُ أسدًا يرمى".

٢-**خاصية**: وهي الغريبةُ التي يكون الجامع فيها غامضًا، لا يدركه إلا أصحابُ المدارك من الخواصّ، كقول كُثَيِّر يمدح عبدالعزيز بن مروان:

غَمْر الرِّداء إذا تبسّمَ ضاحكًا	غلقتْ لضحْكته رِقابُ المالِ

غَمرُ الرِّداء "كثيرُ العطايا والمعروفِ" استعار الرداء للمعروف؛ لأنه يصون ويستر عِرض صاحبه، كستر الرِّداء ما يلقى عليه، وأضاف إليه الغمر، وهو القرينة على عدم إرادة معنى الثوب؛ لأن الغمر من صفات المال، لا من صفات الثوب.

وهذه الاستعارة لا يظفر باقتطاف ثمارها إلا ذوو الفِطَر السليمة والخِبرة التَّامة.

المبحث التاسع

في تقسيم الاستعارة باعتبار ما يتصل بها من المُلائمات وعدم اتّصالها

تنقسم الاستعارة باعتبار ذكر "ملائم المستعار منه"، أو اعتبار ذكر "مُلائم المستعار له"، أو عدم اقترانها بما يلائم أحدهما إلى ثلاثة أقسام: مُطْلَقة، ومُرَشَّحة، ومُجَرَّدة.

(أ)**فالمطلقة**: هي التي لم تقترن بملائم أصلاً، نحو: ﴿يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ﴾[١١٥].

أو ذُكر فيها ملائمهما معًا، كقول زهير:

لدى أسدٍ شاكي السِّلاح مُقذّفِ	له لِبدٌ أظفارُه لم تُقَلَّمِ

استعار الأسد للرجل الشجاع، وقد ذَكر ما يناسب المستعار له في قوله: "شاكي السلاح مقذّف" وهو التجريد، ثم ذَكر ما يناسب المستعار منه في قوله: "له لبد أظفاره لم تقلّم" وهو الترشيح، واجتماع التجريد والترشيح يؤدي إلى تعارضهما، وسقوطهما؛ فكأن الاستعارة لم تقترن بشيء، وتكون في رتبة المطلقة.

---

(١١٥) الرعد: ٢٥.

(ب)**والمُرَشَّحة**: هي التي قُرِنَت بملائم المستعار منه "أي المشبه به" نحو: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ﴾[١١٦].

استعير الشراء للاستبدال والاختيار، ثم فرِّع عليها ما يلائم المستعار منه من الرِّبح والتجارة، ونحو: "مَنْ باع دِينه بدنياه لم تربح تجارتُه". وَسُمِّيَتْ مُرَشحة؛ لترشيحها وتقويتها بذِكْر المُلائِم.

(ج)**والمجردة**: هي التي قُرنت بملائم المستعار له "أي المشبه" نحو: "رأيت بحرًا على فرس يُعطِي"، فيعطي تجريد؛ لأنه يناسب المستعار له الذي هو الرجل الكريم. ونحو: "اشترِ بالمعروف عِرضك مِن الأذى". وسميت بذلك؛ لتجريدها عن بعض المبالغة؛ لبُعد المشبه حينئذٍ عن المشبه به بعضَ بُعد؛ وذلك ببُعد دعوى الاتِّحاد الذي هو مبنى الاستعارة.

-ثم اعتبار التّرشيح والتّجريد: إنما يكون بعد تمام الاستعارة بقرينتها سواء أكانت القرينة مقالية أم حالية؛ فلا تُعدّ قرينة المصرحة تجريدًا، ولا قرينة المكنية ترشيحًا؛ بل الزائد على ما ذُكر.

-**واعلم** أن الترشيح أبلغُ مِن غيره؛ لاشتماله على تحقيق المبالغة بتناسي التشبيه، وادعاء أن المستعار له هو نفس المستعار منه، لا شيء شبيه به، وكأنّ

---

(١١٦)البقرة:١٦.

الاستعارة غيرُ موجودة، والإطلاق أبلغُ من التجريد؛ فالتجريد أضعفُ الجميع؛ لأن به تضعُفُ دعوى الاتحاد، وإذا اجتمع ترشيحٌ وتجريدٌ فتكون الاستعارة في رُتبة المطلقة؛ إذ بتعارضهما يتساقطان، كما سبق تفصيله.

-وكما يَجري هذا التقسيمُ في التصريحية يجري أيضًا في المكنية.

المبحث العاشر

في المجاز المرسلَ المركَّب

المجاز المُرسَل المركب هو: الكلامُ المستعملَ في غير المعنى الذي وضُع له، لعلاقة غير المشابهة، مع قَرِينة مانعة من إرادة معناه الأصلي.

-ويقع أولا في المُركَّبات الخبرية المستعملة في الإنشاء، وعكسه؛ لأغراضٍ كثيرة منها: **التحسُّر وإظهار التأسف** كما في قول الشاعر:

ذَهَبَ الصِّبا وتولَّت الأَيّامُ فعَلى الصِّبا وعلى الزَّمان سلامُ

فإنه وإنْ كان خبراً في أصل وضعه، إلا أنه في هذا المقام مستعمل في إنشاء التَّحسُّر والتحزُّن على ما فات من الشَّباب، والقرينة على ذلك "الشطر الثاني"، وكقول جعفر بن عُلبة الحارثي:

هَوَاى مع الرَّكب اليمانينَ مُصْعَدُ جَنيبٌ وجُثماني بمكَّة مُوثَقُ

فهو يشير إلى الأَسف والحزن الذل ألَمَّ به من فِراق الأحبة، ويتحسَّر على ما آل إليه أمرهُ والقرينة على ذلك "حال المتكلم".

ومنها إظهار الضّعف في قوله:

رَبِّ، إنِّي لا أســـتطيع اصـــطباراً فـاعفُ عنِّـي يـا مـن يقبـلُ العِثـارا

ومنها إظهار السُّرور، نحو: "كُتِبَ اسمي بين الناجحينَ".

ومنها الدعاء، نحو: "نجَّحَ اللهُ مقاصدنَا" "أيُّها الوطنُ، لك البقاءُ".

-وثانيـاً في المركبـات الإنـشائيّة – كـالأمر، والنهـي، والاسـتفهام- التـي خرجت عن معانيها الأصلية، واستُعملت في معان أُخرَ، كما في قوله عليه الصلاة والسلام: "مَن كَذَبَ عليَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ منَ النارِ".

إذ المرادُ "يتَبـوّأ مقعـده" والعلاقـة في هـذا السـبَّبيَّة والمسببيةَّ؛ لأن إنـشاء المتكلم للعِبارة سببٌ لإخباره بما تتضمنهُ، فظاهره أمر، ومَعناه خبر.

المبحث الحادي عشر

في المجاز المركَّب [١١٧] بالاستعارة التمثيليَّة

المجاز المركب بالاستعارة التَّمثيلية: هو تركيب استعمل في غير ما وضُع له، لعلاقة المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة معناه الأصلي؛ بحيث يكون كلٌّ من المشبه والمشبه به هيئةً مُنتزعة من متعدد؛ وذلك بأن تشبهِّ إحدى صورتين مُنتزعتين (من أمرين أو أمور) بأخرى، ثم تُدخل المشبه في الصورة المشبه بها مُبالغةً في التشبيه، ويسمى بالاستعارة التَّمثيلية [١١٨] نحو: "الصَّيفَ ضيَّعْت اللَّبَنَ". يُضرب لمن فرَّط في تحصيل أمر في زمن يمكنه الحصولُ عليه فيه، ثم طلبه في زمن لا يمكنه الحصولُ عليه [١١٩] فيه. ونحو: "إني أَراك تُقَدِّمُ رِجْلاً وتؤخِّرُ

([١١٧])المجاز المركب: هو تركيبٌ استعمل في ما يُشبهَّ بمعناه الأصلي تشبيه التمثيل.

([١١٨])سُميت تمثيلية مع أن التمثيل عام في كل استعارة؛ للإشارة إلى عظم شأنها كأن غيرها ليس فيه تمثيلٌ أصلا، إذ هي مبنية على تشبيه التمثيل، ووجه الشبه فيه هيئةٌ منتزعة من متعدد؛ لهذا كان أدقَّ أنواع التشبيه، وكانت الاستعارة المبنيةّ عليه أبلغَ أنواع الاستعارات؛ ولذلك كانا غرضَ البلغاء.

([١١٩])أصل المثل: أن امرأة كانت متزوجة بشيخ غنيَّ فطلبت طلاقها منه في زمن الصيف لضعفه، فطلقها وتزوجت بشابَّ فقير، ثم طلبت من مطلقها لبناً وقتَ الشتاء فقال لها ذلك المثل. وإجراء الاستعارة في هذا المثل الأول أن يُقال: شُبهت هيئةُ من فرط في أمر زمن إمكان تحصيله، بهيئة المرأة التي طُلقت من الشيخ اللاّبن، ورجعت إليه تطلب منه

اللبن شِتاءً، بجامع التفريط في كلٍّ، واستُعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التمثيلية.

وإجراء الاستعارة في المثل الثاني أن يقال: شُبهت هيئةُ مَن يتردد في أمر بين أن يفعله وألا يفعله، بهيئة مَن يتردد في الدخول؛ فتارة يقدم رجله وتارة يؤخرها، بجامع الحَيرة في كلٍّ، واستعير الكلامُ الموضوعُ للمشبه به للمشبه، على طريق الاستعارة التمثيلية.

وجاء في لسان العرب - (ج ٨ / ص ٢٢٨)

"وفي المثل : الصَّيْفَ ضَيَّعْتِ اللبن هكذا يقال إذا خوطب به المذكر والمؤنث والإثنان والجمع بكسر التاء لأَن أَصل المثل إِنما خوطب به امرأَة وكانت تحت رجل موسر فكرهته لكبره فطلقها فتزوّجها رجل مُمْلِقٌ فَبَعَثَت إِلى زوجها الأَول تَسْتَمِيحُه فقال لها هذا"

وإجراء الاستعارة في المثل الثالث: شُبهت هيئةُ مَن يَظلم من وجهين، بهيئة رجل باع آخر تمراً رديئاً وناقص الكيل، بجامع الظلم من وجهين في كلٍّ، واستعُير الكلامُ الموضوعُ للمشبه به، للمشبه، على طريق الاستعارة التمثيلية.

=

=وإجراء الاستعارة في المثل الرابع: شبهت هيئة الرجل المتستر تحت أمر ليحصل على أمر خفي يريده، بهيئة الرجل المسمى "قصيراً" حين جَدع أنفه ليأخذ بثأر "جذيمة" من "الزباء" بجامع الاحتيال في كلٍّ، واستُعير الكلامُ الموضوعُ للمشبه به للمشبه، على طريق الاستعارة التمثيلية.

وإجراء الاستعارة في المثل الخامس: أن يقال: شبُهت هيئةُ كريم الأصل، عزيز النفس، الذي لا يفضل الدنايا على الرزايا، عندما تزل به القدم، بهيئة المرأة التي تفضل جُوعَها على إجارتها للإرضاع عند فقرها، بجامع ترجيح الضرر على النفع في كلٍّ، واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التمثيلية.

أُخرىَ" يُضرب لمن يترددّ في أمر؛ فتارة يُقدم، وتارة يُحجم، ونحو: "أَحَشفاً وسُوء كيلة"، يُضرب لمن يَظلم من وجهين، وأصله: أن رجلاً اشترى تمراً من آخر فإذا هو رديء، وناقصُ الكيل، فقال المشتري ذلك. ومثل ما تقدَّم جميع الأمثال السائرة نثراً ونظماً.

-فمن الأول: قولهم لمن يَحتال على حصولِ أمرٍ خفي، وهو متستر تحت أمرٍ ظاهر:

"الأمرِ ما جَدَعَ قَصيرٌ أنفَهُ" وقولهم: "تَجوع الحُرةُّ ولا تأكل بثديَيْها"، وقولهم لمن يريد أن يعمل عملاً وحده وهو عاجزٌ عنه: "اليدُ لا تُصفِّق وحدَها"، وقولهم لمجاهد عاد إلى وطنه بعد سفَر:

وإجراء الاستعارة في المثل السادس: شُبهت هيئة مَن يريد أن يعمل عملاً وحده وهو عاجز عنه، بهيئة مَن يريد أن يصفق بيد واحدة، بجامع العجز في كلَّ، واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه، على سبيل الاستعارة التمثيلية.

وإجراء الاستعارة في المثل السابع: شُبهت هيئة الرجُل الذي يحصل بوجوده فصلُ المشكلات، بهيئة نبي الله موسى عليه السلام، مع سَحَرة فرعون، بجامع حسم النزاع في كلَّ، واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه، على طريق الاستعارة التمثيلية.

وإجراء الاستعارة في المثل الثامن: شُبهت هيئةُ الرجلُ الذي لا يقول إلا الحقَّ، ولا يُخبر إلا بالصدق، بهيئة المسماة "حذام" بجامع الصدق في كل، واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه، على طريق الاستعارة التمثيلية.

"عاد السيَّف إلى قرابه، وحلّ اللّيث مَنِيع غابه"، وقولهم لمن يأتي بالقول الفصل: "قَطَعَتْ جهيزَةُ قَوْلَ كلِّ خطيبٍ".

-ومن الثاني قول الشاعر:

إذا جاء موسى وألقى العصا فقد بطَل السِّحرُ والساحرُ

إذا قالَتْ حَذَامِ فصدِّقوها فإن القولَ ما قالَتْ حذامِ

متى يَبلغُ البنيانُ يوماً تمامهُ إذا كُنت تبنيهِ وغيركُ يَهدمُ[120] ؟!

وإذا فشت، وشاعت الاستعارة التمثيلية ، وكثرُ استعمالها، تكون مثلا لا يغير مطلقاً، بحيث يخاطب به المفردُ والمذكَّر، وفروعهما، بلفظ واحد من غير تغيير ولا تبديل عن مورده الأول وإنْ لم يطُابق المضروب له؛ ولذا كانت هذه الاستعارة محط أنظار البلُغاء، لا يعدلون إلى غيرها إلا عند عدم إمكانها؛ فهي أبلغ أنواع المجاز مفرداً أو مركباً؛ إذ مبناها تشبيه التمثيل الذي قد عرفتَ أن وجه الشبه فيه هيئة منتزعة من أشياءَ متعددة؛ ومن ثم كانت هي والتشبيهُ المبنيةُ عليه غرضَ

---

(120)وإجراء الاستعارة في المثل التاسع: شُبهت حالُ المصلح يبدأ الإصلاح ثم يأتي غيره فيبطل عمله، بحال البنيان يُنهض به حتى إذا أوشك أن يتم جاء مَن يهدمه، والجامع هو الحالة الحاصلة من عدم الوصول إلى الغاية؛ لوجود ما يفسد على الساعي سعيه، ثم حُذف المشبه، واستعير التركيب الدالُّ على المشبه به للمشبه.

البلغاء الذينَ يتسامون إليه، ويتفاوتون في إصابته؛ حتى كثُروا في القرآن كثرة كانت إحدى الحُجج على إعجازه.

-والاستعارة ميدانٌ فسيحٌ من ميادين البلاغة، وهي أبلغ من التشبيه؛ لأنها تضع أمام المخاطَب بدلا من المشبه صورة جديدة تملك عليه مشاعره، وتذهله عما ينطوي تحتها من التشبيه، وعلى مقدار ما في تلك الصورة من الروعة وسمو الخيال تكون البلاغةُ في الاستعارة.

-وأبلغُ أنواع الاستعارة "**المرشحةُ**"؛ لذكر ما يناسب المستعار منه فيها، بناءً على الدعوى بأن المستعار له هو عينٌ المستعار منه.

-ثم تليها "**المطلقة**"؛ لترك ما يناسب الطرفين فيها، بناءً على دعوى التساوي بينهما.

-ثم تليها "المجردة"؛ لذكر ما يناسب المستعار له فيها، بناءً على تشبيهه بالمستعار منه.

-ولابد في الاستعارة، وفي التمثيل على سبيل الاستعارة من مُراعاة جهات حُسنِ التشبيه، كشمول وجه الشبه للطرفين، وكون التشبيه وافياً بإفادة الغرض، وعدم شم رائحة التشبيه لفظاً. ويجب أن يكون وجه الشبه بين الطرفين جلياً؛ لئلا تصير الاستعارة والتمثيل تعميةً وإلغازاً.

[121]-فسمونا والفجْرُ يَضْحكُ في عضّنا الـشرقِ إلينـا مبـشراً بالـصباح

الـــــــدّهر بنابـــــــهْ ليـــتَ مـــا حـــلّ بنـــا بـــهْ

[122]-لـسنا وإنْ أحـسابُنا كرُمَـتْ يومـاً عـلى الأحـساب نَتكـلُ

الإجابة :

([121])شبه الفجر بإنسان يتبسم، فتظهر أسنانه مضيئة لامعة، والقدر المشترك بينهما: البريق واللمعان، واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه، ثم حَذف المشبه وأشار إليه بشيء من لوازمه وهو الضحك، على طريق الاستعارة بالكناية، وإثباتُ الضحك استعارة تخييلية.

([122])في كلمة "على" استعارة تصريحية تبعية؛ فقد شبه مطلق ارتباط بين حسيب وحسب، بمطلق ارتباط بين مستعل ومستعلى عليه، بجامع التمكنُّ والاستقرار في كلٍّ، ثم استعيرت "على" من جزئي من جزئيات الأول- لجزئي من جزئيات الثاني، على سبيل الاستعارة التبعية التصريحية.

[123]-دقـاتُ قلـب المـرءِ قائلـةٌ لـهُ إنّ الحيـاةَ دقـائقٌ وثـوانِ

[124]-بَكَتْ لؤلؤاً رطْباً ففاضَتْ مدامعي عقيقاً فصار الكُلُّ في نحرِها عِقداً

[125]-"إن التباعدَ لا يضر إذا تقاربت القلوبُ".

[126]-ذَمّ أَعرابي رجُلاً فقال: "يقطع نهاره بالمنى، ويتوسَّد ذراع الهمِّ إذا أمسى".

قـومٌ إذا الـشرُّ أبـدى ناجذَيْـه لهُـمْ طـاروا إليـه زَرَافـاتٍ وَوِحْـدانا

([123])شبَّه الدلالة بالقول، بجامع إيضاح المراد في كلٍّ، واستعار الدال على المشبه به للمشبه، واشتق من القول بمعنى الدلالة "قائل" بمعنى دال، على طريق الاستعارة التصريحية التبعية، والقرينة نسبة القول إلى الدقات.

([124])شبه المتساقط من فيها باللؤلؤ، بجامع البياض والاتِّساق في كلٍّ، واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه، ثم شبه الدمع النازل من عينيه بالعقيق بجامع الحمرة، واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه، والقرينة كلمتا بكت، وفاضت، وذكر العقد ترشيحٌ.

([125])شُبه التواد بالتقارب، بجامع الألفة في كلٍّ منهما، ثم استعير التقارب للتواد، واشتق منه تقارب بمعنى تواد، والقرينة كلمة القلوب، وهي استعارة مطلقة.

([126])شبه المنى بسكين قاطع، بجامع الإجهاز وإنهاء المقطوع في كلٍّ، واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه، وحذفه ورمز إليه بشيء من لوازمه، وهو يقطع، على سبيل الاستعارة المكنية الأصلية المطلقة، ويقطع استعارة تخييلية. وكذا شبه الهم بإنسان، واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه، وحذفه ورمز إليه بشيء من لوازمه، وهو الذراع، على سبيل الاستعارة المكنية الأصلية المرشحة، والقرينة كلمة الذراع، ويتوسد ترشيحٌ.

سأبكيك للدُّنيا وللدِّين إن أبت يدُ المعروف بعدكَ شُلّت

١٢٧-﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.

١٢٨-سَقَاهُ الرّدَى سيفٌ إذا سُلَّ أَومَضَتْ

إلْيه ثَنايا المَوْتِ مِنْ كلِّ مرقَدِ.

١٢٩-﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلانِ﴾.

---

(١٢٧)[القلم: ٤] شبه تمكنه عليه الصلاة والسلام من الهدى والأخلاق الشريفة والثبوت عليها، بتمكن من علا دابة يُصرفها كيف شاء، بجامع التمكن والاستقرار في كلٍّ، فسرى التشبيه من الكليين للجزئيات التي هي معاني الحروف؛ فاستعير لفظ "على" الموضوع للاستعلاء الحسي، للارتباط والاستعلاء المعنوي، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

(١٢٨)شبه لحاق الموت به، بالسقى، بجامع الوصول في كلٍّ، واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه، ثم اشتق من السقى "سقى" على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية، والقرينة على ذلك نسبة السقى إلى الردى، وأيضاً قد شبه الموت بإنسان له ثنايا يضحك منها فتلمع وتضيء، والجامع البريق واللمعان، واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه، ثم حذفه ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الثنايا، على سبيل الاستعارة المكنية الأصلية المرشحة، والثنايا استعارة تخييلية، وأومض ترشيحٌ.

(١٢٩)[الرحمن: ٣١] شبه القصد إلى الشيء والتوجه له، بالفراغ والخلوص من الشواغل، بجامع الاهتمام في كل، واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه، ثم اشتق من الفراغ بمعنى الخلو "نفرغ" على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية، والقرينة حالية.

[١٣٠]-﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾.

[١٣١]-فتى كُلَّمَا فَاضَتْ عُيُونُ قبيلةٍ

دماً ضَحِكتْ عَنْه الأَحاديث والذِّكرُ

([١٣٠])[الأعراف: ٦٠] في كلمة "في" استعارة تصريحية تبعية؛ فقد شُبهت "في" التي تدل على الارتباط "بفى" التي تدل على الظرفية، بجامع التمكُّن في كلٍّ، فسرى التشبيه من الكليين إلى الجزئيات، فاستعيرت "في" من الثاني للأول، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية، والقرينة على ذلك كلمة الضَّلال.

([١٣١])شبه العيون بالنهر، بجامع الصبِّ الكثير في كلٍّ منهما، واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه، ثم حذفه ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو "فاض" على سبيل الاستعارة الأصلية المكنية، وفاض قرينتها، وهي الاستعارة التخييلية، وكذا شبه السرور والأريحية، بالضحك، بجامع ما تجده النفس عند كل من المسرة، واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه، ثم اشتق من الضحك بمعنى السرور ضحك بمعنى سر، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

رأيت أسدًا في الميدان- شبه الرجل الشجاع بالأسد بجامع الشجاعة في كل واستعير الأسد للرجل الشجاع على طريق الاستعارة المصرحة الأصلية.

رأيت قُسًّا اليوم- شبه الرجل الفصيح "بقس بن ساعدة" بجامع الفصاحة في كل، واستعير "قس" للرجل الفصيح على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية.

رأيت حاتما اليوم- شبه الرجل الكريم "بحاتم الطائي" بجامع الكرم في كل واستعير "حاتم" للرجل الكريم على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية.

نطقت حالك بنجابتك -شبهت الدلالة الواضحة بالنطق بجامع الإيضاح في كل واستعير "النطق" للدلالة الواضحة واشتق من "النطق" بمعنى الدلالة الواضحة "نطقت" بمعنى دلت على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية. وسميت تصريحية للتصريح فيها بلفظ المشبه به. وتبعية لأن جريانها في الفعل تابع لجريانها في المصدر.

يحيى الأرض بعد موتها -شبه تزيين الأرض بالنبات الأخضر النضر بالأحياء بجامع ما يترتب على كل من الحسن والنفع، واشتق من "الاحياء" بمعنى التزين "يحيى" بمعنى يزين على سبيل الاستعارة المصرحة التبعية.

فيه استعارة تمثيلية. فإنه شبه هيئته القائمة به من الذوق الوجداني، بهيئة من جرى على لسانه ذلك من عشاق الأشباح بجامع الهيئة الحاصلة من التأثر والوجدان في كل واستعار الكلام الدال على المشبه به للمشبه -على سبيل الاستعارة التمثيلية.

تَصرّمتْ مِنّاً أويقاتُ الصِّبا ولَمْ تَجُدْ مِن المشيب مَهْرَبَا

فيه مجاز مرسل مركب، علاقته السببية؛ فإن هذا الكلام سببٌ في التحسرُّ، أو الملزومية؛ لأن الإخبار بهذا مستلزم للتحسرُّ.

ولئن نطقتُ بشُكْرِ برِّك مُفصِحًا فلسانُ حالي بالشِّكاية أنطقُ

فيه استعارة مكنية أصلية مرشحة وفاقية في كلمة "خال"؛ شُبهت الحال بإنسان متكلم، بجامع الدلالة في كلٍّ، واستعير لفظ المشبه به للمشبه، وحُذف ورمُز إليه بشيء من لوازمه وهو "اللسان"، على سبيل الاستعارة المكنية الأصلية، وإثبات "اللسان" للحال تخييلٌ، والنطق ترشيحٌ، وفيه استعارة تصريحية تبعية في النطق؛ شبهت الدلالة بالنطق، واستعير لها اسمه، واشتق منه "أنطقُ" بمعنى

أدل، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية، واللسان ترشيح، وهي وفاقية؛ لإمكان اجتماع طرفَيْها اللذين هما "النطق، والدلالة". في شيء واحد.

فإن تعافوا العدلَ والإيمانا فإنّ إيماننا نيرانا

فيه استعارة مكنية أصلية في "العدل" و"الإيمانا"؛ فإنه شبه "العدل" و"الإيمان" بشيء كريه يعاف، بجامع كراهة النفس لكلٍّ، واستعير لفظ المشبه به للمشبه، وحُذف ورمُز إليه بشيء من لوازمه وهو "تعافوا"، على طريق الاستعارة المكنية الأصلية، وإثبات "تعافوا" للعدل و"الإيمان" تخييلٌ، وفي "نيرانا" استعارة تصريحية أصلية؛ شُبهت السيوفُ القاطعة بالنيران، بجامع الضرر في كلٍّ، واستعير لفظ المشبه به للمشبه، على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية.

وتسلُطُ قوله: "تعافوا" على كل من العدل والإيمان قرينةٌ على أن المراد بالنيران السيوفُ.

-﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾[١٣٢] أي ضالاً فهديناه، فيها استعارتان تصريحيتان تبعيتان. الأولى عنادية، والثانية وفاقية.

([١٣٢])الأنعام:١٢٢.

ففي الأولى- شبه الموت بالضَّلال، بجامع عدم النفع في كلٍّ، واستعير لفظ المشبه به للمشبه، واشتق منه "ميتا" بمعنى "ضالا"، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية العنادية؛ لأنه لا يمكن اجتماع الموت والضلال في شيء.

وفي الثانية -شُبه الهدى بالإحياء، بجامع النفع في كلٍّ، واستعير الإحياء للهدى، واشتق منه "أحيا" بمعنى "هَدَى"، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية الوفاقية؛ لأنه يمكن اجتماع الهدى والحياة في شيء.

-﴿يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ﴾[١٣٣] شبه إبطال العهد، بفكّ طاقات الحبل، بجامع عدم النفع في كلٍّ، واستعير اللفظ الدال على المشبه به وهو "النقض"، للمشبه وهو "الإبطال"، واشتق منه "ينقضون" بمعنى "يبطلون"، على طريق الاستعارة التصريحية التبعية المطلقة؛ لأنها لم تقترن بشيء.

لدى أسدٍ شاكى السِّلاح مُقذَّفٍ ... له لِبَدٌ أظفارهُ لم تُقلّمِ

شبه الرجُلَ الشجاع بالأسد، واستعار الأسد للرجل الشجاع، على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية المطلقة؛ لاقترانها بما يلائم المشبه، وبما يلائم المشبه

---

(١٣٣) الرعد: ٢٥.

به؛ فإن شاكى السلاح يُناسب المشبه، وما بعده يناسب المشبه به، والقرينة حالية (أي أنها تُفهم من حالة المتكلم).

فوق خدّ الوردْ دمعٌ من عيون السحب يذرف
برداء الشمس أضحى بعد ما أنْ سال يجفف

شبه الورد بإنسان جميل، بجامع الحسن في كلٍّ، وحُذف المشبه به "إنسان" ورُمز إليه بشيء من لوازمه "خد"، على طريق الاستعارة المكنية الأصلية المرشحة، والقرينة هي إضافة خد للورد، وشبه السحاب بإنسان، بجامع النفع في كلٍّ، استعارة مكنية أصلية مرشحة، والقرينة إثباتُ العيون للسحب، وشُبهت الشمس بامرأة حسناءَ، بجامع الجمال في كل استعارة مكنية أصلية مجردة، والقرينة هي إثبات رداء للشمس، ويقال للقرينة في الجميع: "استعارة تخييلية".

أثمرت أغصانُ راحتهِ لجناة الحسنِ عُنّاباً

شُبهت الراحة بشجرة، بجامع الانتفاع من كلٍّ، استعارة مكنية أصلية مرشحة، والقرينة هي إثبات جناة للحسن، وهي "استعارة تخييلية".

إذا نزل السماءُ بأرض قومٍ رعيناهُ وإنْ كانوا غِضابا

"السماء" بمعنى المطر، مجاز مرسل، علاقته السببية، أو المحلية، والقرينة هي "نزل".

-سبقَ لك أن بلاغة التشبيه آتيةٌ من ناحيتين: الأولى: طريقة تأليف ألفاظه. والثانية: ابتكار مشبه به بعيد عن الأذهان، لا يجول إلا في نفس أديب، وهب الله له استعداداً سليماً في تَعرُّف وجوه الشبه الدقيقة بين الأشياء، وأودعه قُدْرَةً على ربطِ المعاني، وتوليد بعضها من بعض إلى مَدى بعيدٍ لا يكاد ينتهي.

-وسر بلاغة الاستعارة لا يتعدّى هاتين الناحيتين؛ فبلاغتها من ناحية اللفظ: أنَّ تركيبها يدل على تناسي التشبيه، ويحملك عَمْداً على تَخَيُّلِ صورة جديدة تنسيك رَوْعَتُهَا ما تضمنه الكلام من تشبيه خفيٍ مستور.

انظر إلى قول البحتري في الفَتْحِ بن خاقان:

يَسْمُوُ بكَفٍّ عَلى العَافِينَ حانيةٍ تَهْمي وَطَرْفٍ إلى الْعَلْياءِ طمّاحِ

ألست ترى كفه وقد تمثلت في صورة سحابة هتّانة تصبُّ وَبْلَها على العافين والسائلين، وأنَّ هذه الصورة قد تَمَلّكَتْ عليك مشاعرك، فأذهلتك عمّا اختبأ في الكلام من تشبيهٍ؟

وإذا سمعت قوله في رثاء المتوكل وقد قُتل غيلةً:

صَريـعٌ تَقاضـاهُ اللّيَـالي حـشاشَةً يَجُـودُ بِهـا والمَـوْتُ حُمْـرٌ أظَـافِرُهْ[١٣٤]

فهل تستطيع أن تُبعد عن خيالك هذه الصورة المخيفة للموت، وهي صورة حيوان مفترس ضُرِّجَتْ أظفارهُ بدماء قتلاه؟.

-لهذا كانت الاستعارة أبلغ من التشبيه البليغ؛ لأنه وإنْ بُنى على ادِّعاء أن المشبه والمشبه به سواء؛ لا يزال فيه التشبيه مَنْوياً ملحوظاً، بخلاف الاستعارة، فالتشبيه فيها منسي مجحود، ومن ذلك يظهر أن الاستعارة المرشحة أبلغُ مِن المطلقة، وأن المطلقة أبلغُ من المجردة.

-أما بلاغة الاستعارة من حيث الابتكار، وروعة الخيال، وما تُحدثه من أثرٍ في نفوس سامعيها، فمجالٌ فسيح للإبداع، وميدان لتسابق المجيدين من فرسان الكلام.

---

(١٣٤)الصريع: المطروح على الأرض، وتقاضاه: أصله تتقاضاه؛ حُذفت إحدى التاءين، وهو من قولهم: تقاضي الدائن دينه إذا قبضه، والحشاشة: بقية الروح في المريض والجريح. يصفه بأنه ملقى على الأرض يلفظ النفس الأخير من حياته.

انظر إلى قوله عز شأنه في وصف النار:

﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾[١٣٥].

ترتسم أمامك النارُ في صورة مخلوق ضخم، بطّاش مُكفهِّرِ الوجه، عابس يغلي صدره حِقداً وغيظاً. (عن البلاغة الواضحة).

---

(١٣٥) الملك: ٨.

الباب الثالث

في الكناية

الكناية[١٣٦] : لغة: ما يتكلّم به الإنسانُ، ويُريد به غيره.

---

(١٣٦)توضيح المقام: أنه إذا أطلق اللفظ، وكان المراد منه غير معناه، فلا يخلو، إما: أن يكون معناه الأصلي مقصوداً أيضاً؛ ليكون وسيلة إلى المراد، وإما: ألاّ يكون مقصوداً- فالأول: الكناية. والثاني: المجاز.

فالكناية عند علماء البيان: لفظ أطلق، وأريد به لازمُ معناه، مع جواز إرادة ذلك المعنى معه. "كلفظ طويل النجاد" المراد به طول القامة؛ فإنه يجوز أن يُراد منه طول النجاد (أي علاقة السيف) أيضاً؛ فهي تخالف المجاز من جهة إمكان إرادة المعنى الحقيقي مع إرادة لازمه، بخلاف المجاز، فإنه لا يجوز فيه إرادة المعنى الحقيقي؛ لوجود القرينة المانعة من إرادته، ومثل ذلك قولهم: "كثير الرماد" يعنون به أنه كثير القِرى والكرم، وقول الحضرمي:

قد كان تُعجب بعضهن براعتي	حتى رأيْنَ تنحنُحي وسُعالي

كنى عن كبر السن بتوابعه وهي: التنحنح والسعال، وقولهم: "المجد بين ثوبيه، والكرم بين بُرديه" وقوله:

إنّ السّماحة والمروءة والنّدى	في قُبةٍ ضُربتْ على ابن الحشْرجِ(*)

(*)في الأصل (إنَّ المروءة والسماحة...) وهذا خطأ والصواب ما أثبتناه.

وقوله:

ومـــا يـــك في مـــن عيـــبٍ فـــإنّى	جبـــانُ الكلـــب مهـــزولُ الفـــصيلِ

فإن "جبان الكلب"، كذا "مهزول الفصيل" والمراد منهما ثبوتُ الكرم، وكل واحدة على حِدتها تؤدي هذا المعنى. وقد جاء عن العرب كنايات كثيرة كقوله:

بـــيضُ المطـــابخ لا تـــشكو إمـــاؤهمو	طَـــبْخَ القـــدور ولا غـــسلَ المناديـــلِ

ويُروى أن خلافاً وقع بين بعض الخلفاء ونديم له في مسألة؛ فاتفقا على تحكيم بعض أهل العلم؛ فأحضر، فوجد الخليفة مخطئاً؛ فقال: القائلون بقول أمير المؤمنين أكثر (يريد الجهال) وإذا كان الرجل أحمق قيل: "نعته لا ينصرف". ونظر البديع الهمذاني إلى رجل طويل بارد، فقال: قد أقبل ليلُ الشتاء. ودخل رجلٌ على مريض يعوده وقد اقشعر من البرد، فقال: ما تجد فديتك؟ قال: أجدك (يعني البرد). وإذا كان الرجل ملولاً، قيل: هو من بقية قوم موسى. وإذا كان مُلحداً، قيل: قد= =عبرَ (يريدون جسر الإيمان). وإن كان يسيء الأدب في المؤاكلة، قيل: تسافر يده على الخوان، ويرعى أرض الجيران. ويقال عمَّن يُكثر الأسفار: فلان لا يضع العصا عن عاتقه. وجاء في القرآن ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ [الحجرات: ١٢]، فإنه كنى عن الغيبة بأكل الإنسان لحمَ الإنسان. وهذا شديد المناسبة؛ لأن الغيبة إنما هي ذكر مثالب الناس وتمزيق أعراضهم، وتمزيق العرض مماثل لأكل الإنسان لحمَ من يغتابه. ومن أمثال العرب قولهم لبستُ لفلان جلد النمر، وجلد الأرقم- كناية عن العداوة، وكذلك قولهم: قلبت له ظهر المِجنَ. كناية عن تغيير المودة. ويقول القوم: فلان برئ الساحة، إذا برأوه من تهمه. ورحب الذراع: إذا كان كثير المعروف، وطويل الباع في الأمر. إذا كان مقتدراً فيه، وقوى الظهر إذا كثر ناصروه. ومن ذلك: أن المنصور كان في بُستان له أيامَ محاربته إبراهيم بن عبد عبدالله بن الحسن، فنظر إلى شجرة خلاف، فقال للربيع: ما هذه الشجرة؟

فقال: طاعة يا أمير المؤمنين. فتفاءل المنصور به، وعجب من ذكائه. ومثل ذلك: أن رجلاً مرّ في صحن دار الرشيد ومعه حزمة خيزران، فقال الرشيدُ للفضل بن الربيع: ما ذاك؟ فقال: عروق الرماح يا أمير المؤمنين، وكره أن يقول: "الخيزران"؛ لموافقته اسمَ والدة الرشيد. ومن كلامهم: "فلانٌ طويل الذيل" يريدون أنه غني حسن الحال. وعليه قول الحريري:

إنّ الغريبَ الطويلَ الذيلِ ممتهنُ	فكيف حال غريب ما له قُوتُ؟

وكذلك قولهم: فلان طاهر الثوب- أي منزه عن السيئات. وفلان دنس الثوب. أي متلوث بها. قال امرؤ القيس:

ثيابُ بني عوف طهاري نقيةٌ	وأوجههمْ عند المشاهد غُرّاتُ

ويقولون: فلانٌ غمر الرداء، إذا كان كثير المعروف عظيم العطايا. قال كثير:

غَمْرُ الرداء إذا تبسم ضاحكا	غلقتْ لضحكته رقاب المال

ومن الكنايات اللطيفة: ما ذكرها الأدباء في الشيب والكبر فيقولون: عرضت لفلان فترة، وعرض له ما يمحو ذنوبه. وأقمر ليله، ونور غصن شبابه، وفضض الزمان أبنوسه، وجاءه النذير. وقرع ناجذ الحلم. وارتاض بلجام الدهر. وأدرك زمان الحنكة. ورفض غرة الصبا. ولبى دواعي الحجى. ومن كناياتهم عن الموت: استأثر الله به. وأسعد بجواره. ونقله إلى دار رضوانه ومحل غفرانه، واختار له النقلة من دار البوار إلى دار الأبرار. ومن الكنايات أيضاً أن يُقام وصف الشيء مقام اسمه كما ورد في القرآن ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾

وهي مصدر كَنيتُ ،أو كنوتُ بكذا عن كذا، إذا تركت التّصريح به.

واصطلاحاً: لفظ أُطلق وأُريد به لازمُ معناه، مع قرينة لا تَمنعُ مِن إرادة المعنِي الأصلي، نحو: "زيد طويل النِّجاد" تُريد بهذا التركيب أنه شجاع عظيم؛ فعدلتَ عن التصريح بهذه الصفة إلى الإشارة إليها والكنايةِ عنها؛ لأنه يلزم مِن طول حمالة السيف طولُ صاحبه، ويلزم مِن طول الجسم الشجاعةُ عادةً، فإذا المراد طول قامته وإنْ لم يكن له نجاد، ومع ذلك يصحُّ أن يُراد المعنى الحقيقي، ومن هنا يُعَلم أنّ الفرقَ بين الكناية والمجاز: صحة إرادة المعنى الأصلي في الكناية، دون المجاز؛ فإنه يُنافي ذلك.

نعم قد تمتنع إرادةُ المعنى الأصلي في الكناية؛ لخصوص الموضوع، كقوله تعالى ﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾[١٣٧] وكقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[١٣٨]، كناية عن تمام القدرة، وقوة التمكُّن والاستيلاء.

[القمر: ١٣]، يعني السفينة، فوضع= =صفتها موضع تسميتها. كما ورد ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ﴾ [ص: ٣١] يعني الخيل. وقال بعض المتقدمين.

سألت قُتيبة عَنْ أبيها صُحْبةً	في الروح هَلْ رِكب الأغرّ الأشقرا؟

يعني هل قتل؟ لأن الأغر الأشقر وصفُ الدم؛ فأقامه مقام اسمه.

(١٣٧)الزمر: ٦٧.

أ-وتنقسم الكناية باعتبار المطلوب بها إلى ثلاثة أقسام:

فإن المطلوب بها قد يكون صفة من الصفات، وقد يكون موصوفاً، وقد يكون نسبة.

-**الأول**: الكناية التي يُطلب بها صفة من الصفات نوعان:

١-كناية قريبة: وهي ما يكون الانتقالُ فيها إلى المطلوب بغير واسطةٍ بين المعنى المُنتقل عنه، والمعنى المُنتقل إليه، نحو:

رَفيعُ العِماد طويل النِّجادِ سادَ عشيرته أَمردا

٢-وكناية بعيدة: وهي ما يكون الانتقالُ فيها إلى المطلوب بواسطة، أو بوسائط، نحو: "فلان كثير الرَّماد" كناية عن المِضيْاف، والوسائط هي: الانتقال من كثرة الرماد، إلى كثرة الإحراق، ومنها إلى كثرة الطَّبخ والخبز، ومنها إلى كثرة الضيوف، ومنها إلى المطلوب وهو: المضيافُ الكريمُ.

-**الثاني**: الكناية التي يُراد بها نسبةُ أمرٍ لآخر إثباتاً أو نفياً، فيكون المكنيِ عنه نِسبةً، نحو:

---

(١٣٠)طه: ٥.

إنّ السّماحَةَ والمُروءةَ والنّدى في قُبَّةٍ ضُرِبتْ على ابن الحَشْرَجِ

فإنَّ جَعْلَ هذه الأشياء الثلاثة في مكانه المختص به، يستلزم إثباتها له.

واعلم أن الكناية المطلوب بها نسبة:

إما أن يكون ذو النسبة مذكوراً فيها، كقول الشاعر:

السّيُمْنُ يَتْبَعُ ظِلّه والمجدُ يمشِي في ركابِهْ

وإمّا أن يكون غير مذكورٍ، كقولك: "خير الناس مَن ينفعُ الناس". كناية عن نفي الخيرية عمن لا ينفعهم.

-**الثالث**: الكناية التي لا يُراد بها صفةٌ ولا نسبةٌ؛ بل يكون المكني عنه موصوفاً.

إمّا معنى واحداً "كموطن الأسرار" كناية عن القلب، كما في قول الشاعر:

فلمّا شربناها ودبّ دبيبُها إلى موطن الأسرار قُلْتُ لها قِفي

وإمّا مجموع معانٍ، كقولك: "جاءني حيٌّ مُستوى القامة، عريض الأظفار".

(كناية عن الإنسان)؛ لاختصاص مجموع هذه الأوصاف الثلاثة به، ونحو:

الضّاربين بكلِّ أبيضَ مِخْذَمِ والطّاعنين مجامعَ الأَضغانِ [١٣٩]

ويشترط في هذه الكنايةِ: أنْ تكون الصفة أو الصفات مختصَّة بالموصوف، ولا تتعدّاه ليحصل الانتقال منها إليه.

ب-وتنقسم أيضًا باعتبار الوسائط (اللّوازم) والسِّياق إلى أربعة أقسام: تعريض، وتلويح، ورمز، وإيماء.

(١)**فالتّعريض، لغة:** خلافُ التصريح.

---

(١٣٩)الضاربين: منصوب بأمدح المحذوف، والأبيض: السيف، والمخذم، بكسر الميم وسكون الخاء، وفتح الذال المعجمتين: القاطع، والأضغان: جمع ضغن وهو ما انطوى عليه الصدر من الحقد، كنى الشاعر بمجامع الأضغان عن القلوب، وهي لا صفة، ولا نسبة، بل هي موصوف.

واصطلاحًا: هو أن يُطلق الكلام، ويُشار به إلى معنى آخَر يُفَهم من السياق، نحو قولك للمؤذي: "المُسلِمُ مَنِ سَلِمَ المُسلِمُونَ من لسانه ويَده". تعريضًا بنفي صفة الإسلام عن المؤذي، وكقوله:

إذا العِرْضُ لم يُرزَقْ خلاصًا مِن الأذى فلا الحمد مكسوبًا ولا المال باقيًا

(٢)**والتلويح، لغةً**: أن تُشير إلى غيرك من بُعد.

واصطلاحًا: هو الذي كثرتْ وسائطه بلا تعريضٍ، نحو:

وما يَكُ فيَّ مِن عيبٍ فإنّي جَبان الكلب مهزولُ الفَصِيلِ

كنى عن كرم الممدوح بكونه جبانَ الكلب، مهزولَ الفصيل؛ فإن الفكر ينتقل إلى جملة وسائطَ.

(٣)**والرَّمز، لغةً**: أنْ تُشير إلى قريبٍ منك خِفيةً بنحو شفة، أو حاجبٍ.

واصطلاحًا: هو الذي قلَّت وسائطه مع خفاء في اللزوم بلا تعريض. نحو: "فلانٌ عريض القَفا، أو عريض الوِسادة"، كناية عن بَلادته وبلاهته.

ونحو: "هو مكتنز اللّحم"، كناية عن شجاعته، "ومُتناسبُ الأعضاء"، كناية عن ذكائه، ونحو: "غليظ الكبد"، كناية عن القسوة، وهلم جرا.

(٤)**والإيماء أو الإشارة**: هو الذي قَلّت وسائطه مع وضوح اللّزوم بلا تعريضٍ، كقول الشاعر:

أَوَمَا رأيتَ المجدَ ألقى رَحْلَهُ في آلِ طَلْحَةَ ثم لم يتحوَّلِ

كناية عن كونهم أمجاداً أجواداً بغاية الوضوح.

ومن لطيف ذلك قول بعضهم:

سَأَلْتُ النّدَى والجُودَ: ما لي أراكما تَبَدَّلْتُما ذُلاً بعزّ مؤبَّدِ؟
وما بالُ رُكن المجْدِ أَمْسَى مُهُدَّمًا؟ فقالا: أُصبنا بابن يحيى محمد
فقلتُ: فهلا مُتُّما عند مَوتِهِ فَقَدْ كنُتما عبدَيْهِ في كلِّ مَشْهدَ
فقالا: أقمنا كي نُعزَّى بفقْدِه مَسافة يومٍ نَتلوه في غدِ

-والكناية من ألطف أساليب البلاغة وأدقها، وهي أبلغُ من الحقيقة والتصريح؛ لأن الانتقال فيها يكون من الملزوم إلى اللازم فهو كالدّعوى ببيِّنة؛ فكأنك تقول في "زيد كثير الرماد": زيد كريم؛ لأنه كثير الرماد، وكثرته تستلزم كذا إلخ. كيف لا وإنّها تمكن الإنسان من التّعبير عن أمور كثيرة يتحاشى الإفصاحَ بذكرها، إما احترامًا للمخاطب، أو للإبهام على السامعين، أو للنَّيْل مِن خَصْمه دون أن يدع له سبيلا عليه، أو لتنزيه الأذن عما تنبو عن سماعه، ونحو ذلك من الأغراض واللطائف البلاغية.

تمرين (١)

بين أنواع الكنايات الآتية، وعين لازم معنى كل منها:

(١)قال البحتري يصف قَتْلَهُ ذئبًا:

فَأَتْبَعْتُهـا أُخْـرَى فأضـللتُ نَـصْلَها بحَيْث يَكُون اللُّبُّ والرُّعب والحِقْدُ[١٤٠]

(٢)وقال آخر في رثاء مَن مات بِعلةٍ في صدره:

وَدَبَّـتْ لَـهُ فِي مَـوْطِنِ الحِلْـم عِلَّـةٌ لَهَا كالـصِّلالِ الـرُّقْش شَرُّ دَبِيبِ[١٤١]

(٣)ووصف أعرابي امرأة فقال: "تُرْخِي ذيلها على عَرْقُوبَيْ نَعامة".

إنّ في ثوبـك الـذي المجـدُ فيـه لَـضياء يُـزري بكـلِّ ضِـياءِ

---

(١٤٠)ضمير أتبعتها يعود على الطعنة وأضللت: أخفيت، والنصل: حديدة السيف، واللب: العقل، والرعب: الفزع والخوف.

واعلم أن الكناية إما حسنة، وهي ما جمعت بين الفائدة ولطف الإشارة كما في الأمثلة السابقة. وإما قبيحة وهي ما خلَتْ عن الفائدة المرادة وهي معيبة لدى أرباب البيان كقول المتنبي:

إني عـلى شَـغفِي بـما في خُمْرهـا	لأعِـفُّ عـما في سَراويلاتهـا

كناية عن النزاهة والعفّة، إلا أنها قبيحة؛ لسوء تأليفها وقبح تركيبها.

(١٤١)الصِّلال، جمع صِل بالكسر: ضرب من الحيات صغير أسود لا نجاة من لدغته، والرقش: جمع رقشاء، وهي التي فيها نُقط سوداء في بياض، والحية الرقشاء من أشد الحيات إيذاء.

تمرين (٢)

بين نوع الكنايات الآتية، وبين منها ما يصح فيه إرادة المعنى المفهوم من صريح اللفظ، وما لا يصح

(١)وصف أعرابي رجلاً بسوء العِشرة فقال: "كان إذا رآني قَرَّبَ مِنْ حاجبٍ حاجباً".

(٢)وقال أبو نواس في المديح:

فَما جازَهُ جُودٌ ولا حَلَّ دُونَهُ وَلَكِن يَسِيرُ الجُودُ حَيثُ يَسِيرُ

(٣)وتَكْنِي العربُ عمّن يجاهر غيرهَ بالعداوة بقولهم:

"لبس له جِلْدَ النَّمِرِ، وجلْدَ الأرْقم وقَلَبَ له ظهْرَ المِجَنِّ"[١٤٢]

(٤)"فلانٌ عريضُ الوِساد[١٤٣] أغمُّ القفَا"[١٤٤].

---

(١٤٢)الأرقم: الحية فيها سواد وبياض.

(١٤٣)عريض الوساد: أي طويل العنق إلى درجة الإفراط، وهذا مما يُستدل به على البلاهة وقلة العقل.

(٥)وقال الشاعر:

تَجُـولُ خَلاخيـلُ النِّـساءِ وَلا أَرَى لِرَمْلَـةَ خَلْخـالاً يَجُـولُ ولا قُلْبـا [١٤٥]

(٦)وتقول العرب في المديح: "الكرم في أثناء حُلّته"، ويقولون: "فلانٌ نفخ شِدْقَيْهِ" أي تكبر، وورِم أنفُه- إذا غضب.

(٧)قالت أعرابية لبعض الوُلاة: "أشكو إليك قِلّةَ الجِرْذَانِ"[١٤٦].

(٨)وقال الشاعر:

بِـيضُ المَطـابِخِ لا تَـشْكُو إمَـاؤهُمُ طَبْخَ القُدُورِ وَلا غَسْلَ المَنَادِيلِ

(٩)وقال آخر:

مَطْـــبَخُ دَاوُدَ في نَظَافَتِـــهِ أشْـبَهُ شَيءٌ بِعَـرْشِ بِلقـيسِ [١٤٧]

ثِيـــابُ طبَّاخـــه إذا اتَّـــسَخَتْ أنْقَـى بَيَاضًـا مِـنَ الْقـراطِيس

---

(١٤٤)الغصمَم: غزارة الشعر حتى تضيق منه الجبهة أو القفا، وكان يزعم العربُ أن ذلك دليل على الغباوة.

(١٤٥)رملة: اسم امرأة، والقلب بالضم: السوار.

(١٤٦)الجرذان: جمع جُرذ، وهو ضرب من الفأر.

(١٠)وقال آخر:

فَتَـــــى مُخْتَـــــصَرُ المُـــــأكُو لِ وَالْمُـــــشْرُوبِ والْعِطْـــــرِ

نَقِـــــيُّ الْكَـــــأْسِ وَالْقـــــصْـــــعَةِ والْمِنـــــدْيلِ وَالقِـــــدْرِ

(١١)وقال آخر:

الـــــيُمْنُ يتبـــــع ظِلّـــــهُ والمجـــــدُ يمـــــشى فِى ركابِـــــهْ

(١٢)وقال آخر: أصبح في قيدك السماحة والمجدُ وفضلُ الصلاح والحسب.

فَلَسْنا عَلَى الأَعْقَاب تَدْمَى كُلومُنا وَلَكِنْ عَلَى أقْدامنِاَ تَقْطُرُ الدِّمَا[١٤٨]

المجد بين ثوبيك، والكرم ملء بُردَيك.

---

(١٤٧)بلقيس بكسر الباء: ملكة سبأ، وسبأ: عاصمة قديمة لبلاد اليمن.

(١٤٨)الأعقاب: جمع عقب، وهو مؤخر القدم، والكلوم: الجراح، يقول: نحن لا نُوَلى فنُجرح في ظهورنا فتقطر دماء كلومنا على أعقابنا؛ ولكنا نستقبل السيوف بوجوهنا؛ فإن جرحنا قطرت الدماءُ على أقدامنا.

-الكناية مَظْهَرٌ من مظاهر البلاغة، وغاية لا يصل إليها إلا من لَطُف طبعُهُ، وصَفَتْ قريحته، والسِّرُّ في بلاغتها أنها: في صور كثيرة تُعْطيك الحقيقة مصحوبةً بدليلها، والقضية وفي طيِّها بُرْهانها، كقول البحتُري في المديح:

يَغُضُّونَ فَضْلَ اللحْظِ مِنْ حَيْثُ ما بدا لَهُمْ عَنْ مَهِيبٍ في الصدُّورِ مُحَبَّب

فإنه كَنى عن إكبار الناس للمدوح وهَيبْتهم إيَّاه بِغَضِّ الأبصار، الذي هو في الحقيقة برهان على الهيبة والإجلال، وتظهر هذه الخاصةُ جليلةً في الكنايات عن الصفة والنسبة.

-ومن أسباب بلاغة الكنايات أنها تَضَع لك المعاني في صورة المُحَسَّات، ولا شك أن هذه خاصة الفنون؛ فإنّ المصوِّر إذا رَسَمَ لك صورة للأمَل أو لليأس بَهَرَك وجعَلَك ترى ما كنت تَعْجز عن التعبير عنه واضحًا ملموسًا.

فمثل "كثير الرماد" في الكناية عن الكرم، "ورسَوُل الشرِّ" في الكناية عن المزاح، وقول البحتري:

أوَمَا رَأَيتَ المَجْدَ ألْقَى رَحْلَهُ فِي آلِ طَلْحَةَ ثُمَّ لَمْ يَتَحَوَّلِ

في الكناية عن نسبة الشرف إلى آل طلحة، كلُّ أولئك يُبرز لك المعاني في صورة تشاهدها، وترتاح نفسك إليها.

-ومن خواص الكناية أنها تمكنك من أن تَشْفِى غُلّتك مِن خَصمك من غير أن تجعل له إليك سبيلاً، ودون أن تَخْدِش وجه الأدب، وهذا النوع يسمى بالتعريض، ومثاله قول المتنبي في قصيدة يمدح بها كافوراً ويُعَرِّض بسيف الدولة:

رَحَلْتُ فَكَم باكٍ بأجْفان شَادِنٍ عَلَيَّ وَكَمْ باكٍ بأجفانِ ضَيْغَمِ[149]
ومَا رَبَةُ القُرْطِ المَلِيحِ مَكَانُهُ بِأَجْزَعِ مِنْ رَبِّ الحُسامِ المُصمِمِ[150]
فَلَوْ كَانَ مَا بِي مِنْ حَبِيبٍ مُقَنَّعٍ عَذَرْتُ وَلَكِنْ مِن حبيبٍ مُعَمَّمِ
رَمَى واتَّقى رميي ومِنْ دُون ما اتَّقى هَوَى كَاسِرٌ كَفِّي وقَوْسِي وأسْهُمِي
إذا ساءَ فِعْلُ المرءِ ساءَت ظُنُونُهُ وصَدَّقَ ما يَعْتَادُهُ مِنْ تَوَهُّمِ

فإنه كنى عن سيف الدولة أولاً بالحبيب المُعَمَّم، ثم وصفه بالغدر الذي يَدَّعي أنه من شيمة النساء، ثم لامَهُ على مبادهته بالعُدوان، ثم رماه بالجبن؛ لأنه يرمي ويتقي الرَمى بالاستتار خلف غيره، على أنّ المتنبي لا يجازيه على الشر بمثله؛ لأنه لا يزال يحمل له بين جوانحه هوى قديمًا يكسر كفَّه وقَوسَه وأسْهَمه إذا حاول النضال، ثم وصفه بأنه سيء الظن بأصدقائه؛ لأنه سيء الفعل، كثير الأوهان والظنون، حتى ليظن أن الناس جميعًا مثله في سوء الفعل وضَعف الوفاء. فانظر كيف نال المتنبي من سيف الدولة هذا النَّيْل كله من غير أن يذكر من اسمه حرفًا!

---

(149)الشادن: ولد الغزال، والضيغم: الأسد، أراد بالباكي بأجفان الشادن المرأة الحسناء، وبالباكي بأجفان الضيغم الرجل الشجاع. يقول: كم من نساء ورجال بكوا على فِراقي، وجزعوا لارتحالي.

(150)القُرط: ما يعلق في شحمة الأذن، والحسام: السيف القاطع، والمصمم: الذي يصيب المفاصل ويقطعها، يقول: لم تكن المرأة الحسناء بأجذع على فراقي من الرجل الشجاع.

-هذا، ومن أوضح ميزات الكناية التعبيرُ عن القبيح بما تسيغ الآذان سماعَه، وأمثلة ذلك كثيرة جدا في القرآن الكريم، وكلام العرب؛ فقد كانوا لا يُعبِّرون عمَّا لا يحسن ذِكْره إلا بالكناية، وكانوا لشدَّة نخْوتهم يَكْنون عن المرأة بالبَيْضة والشاة، ومن بدائع الكنايات قول بعض العرب:

ألا يَا نَخلةً مِنْ ذات عِرْقٍ عَلَيْكِ وَرَحْمةُ اللهِ السّلامُ[151]

(151)ذات عرق: موضع بالبادية، وهو مكان إحرام أهل العراق ، وترجع الكناية في البيت إلى أنه كنى بالنخلة عن المرأة التي يحبها. (عن البلاغة الواضحة).

ظهر لك من دراسة علم البيان: أنّ مَعْنًى واحدًا يستطاع أداؤه بأساليبَ عِدَّةٍ، وطرائق مختلفة، وأنه قد يُوضع في صورة رائعة من صور التشبيه، أو الاستعارة، أو المجاز المرسل، أو العقلي، أو الكناية.

فقد يصف الشاعر إنسانًا بالكرم فيقول:

يُريد المُلُوكُ مَدَى جَعْفَرٍ ولا يَصْنَعُونَ كَما يَصْنَعُ
ولَيْسَ بِأَوْسعِهِمْ فِي الْغِنى وَلَكِنَّ مَعْرُوفَهُ أَوْسَعُ

وهذا كلام بليغ جدًا، مع أنه لم يُقْصدَ فيه إلى تشبيه أو مجاز، وقد وصف الشاعرُ فيه ممدوحه بالكرم، وأن الملوك يريدون أن يبلغوا منزلته، ولكنهم لا يشترون الحمدَ بالمال كما يفعل، مع أنه ليس بأغنى منهم، ولا بأكثر مالاً.

وقد يعمِدُ الشاعر عند الوصف بالكرم إلى أسلوب آخر فيقول:

كَالْبَحْرِ يَقْذفُ لِلْقرِيبِ جَواهِرًا جُودًا وَيَبْعثُ لِلْبَعيد سَحَائِبًا

فشبه الممدوح: بالبحر، ويَدفع بخيالك إلى أنْ يضاهي بين الممدوح والبحر الذي يقذف الدرر للقريب، ويرسل السحائب للبعيد.

أو يقول:

هُوَ الْبَحْرُ مِنْ أيِّ النواحي أَتَيْتَهُ فَلُجَّتُهُ المعرُوفُ والجُودُ ساحِلُهْ

فيدّعى أنه البحر نفسه، وينكر التشبيه نكرانًا يدل على المبالغة، وادعاء المماثلة الكاملة.

أو يقول:

عــلا فــما يَستقرُّ المــالُ في يَــدِهِ وكيْفَ تُمْسِكُ ماءً قُنَّةُ الجَبَلِ؟

فيرسل إليك التشبيه مِن طريقٍ خفي؛ ليرتفع الكلام إلى مرتبة أعلى في البلاغة، وليجعل لك من التشبيه الضمنيّ دليلاً على دعواه؛ فإنه ادّعى أنه لعلو منزلته ينحدر المال من يديه، وأقام على ذلك برهانًا فقال: "وكيف تمسك ماء قنة الجبل؟".

أو يقول:

جَرَى النَّهْر حَتَّى خِلْتُهُ مِنْك أَنْعُمًا تُساق بِلا ضنٍّ وتُعْطَى بِلا مَنِّ [١٥٢]

فيقلب التشبيه؛ زيادة في المبالغة، وافتنانًا في أساليب الإجادة، ويشبه ماء النهر بنعم الممدوح، بعد أن كان المألوف أن تشبه النعم بالنهر الفياض.

أو يقول:

كَأَنَّهُ يُعْطِى المَالَ مُبْتَسِمًا صَوْبُ الغمامَةِ تَهمِى وهْى تَأتَلِقُ [١٥٣]

فيعمدِ إلى التشبيه المركب، ويعطيك صورة رائعة تمثل لك حالة الممدوح وهو يجود، وابتسامةُ السرور تعلو شفتيه.

أو يقول:

جَادَتْ يدُ الْفتْحِ والأَنْواء باخِلةٌ وذاب نائِلُهُ والْغَيْثُ قَدْ جَمَدا

---

(152)الضن: البخل، والمن: الامتنان بتعداد الصنائع.

(153)تهمى: تسيل، وتأتلق: تلمع.

فيضاهي بين جود الممدوح والمطر، ويدَّعى أن كرم ممدوحه لا ينقطع إذا انقطعت الأنواء، أو جَمَد القطر.

أو يقول:

قَدْ قُلْتُ للغيْم الرُّكَامِ وَلَجَّ فِى إبراقِهِ وألَحَّ فِي إرعادِهِ [154]

لا تَعْرِضَنَّ لِجَعْفَرٍ مُتَشبِّها بِندى يديْهِ فَلَسْتَ مِنْ أَنْدادِهِ

فيصرح لك في جلاء وفي غير خشية بتفضيل جود صاحبه على جود الغيم، ولا يكتفي بهذا؛ بل تراه يَنْهىَ السحابَ في صورة تهديد أنْ يحاول التشبه بممدوحه؛ لأنه ليس من أمثاله ونظرائه.

أو يقول:

وأقْبَلَ يمشِي فِى البِساط فَمَا دَرَى إلى الْبَحْر يَسْعَى أم إلى البَدْرِ يَرْتَقَى

يصف حال رسول الروم داخلاً على سيف الدولة، فَيَنزع في وصف الممدوح بالكرم إلى الاستعارة التصريحية، والاستعارة كما علمت مبنية على تناسي التشبيه، والمبالغة فيها أعظمُ، وأثرها في النفوس أبلغُ.

---

(154) الغيم الركامُ: المتراكم، ولج وألح كلاهما بمعنى: استمر.

أو يقول:

دَعــوتُ نَــداهُ دَعــوةً فأجــابِني وعَلَّمِنــي إحَــسانُهُ كَيْــفَ آمُلُــهْ

فيشبه نـدى ممدوحـه وإحسانه بإنسان، ثـم يحـذف المشبه بـه، ويرمـز إليـه بشيء مـن لوازمـه- وهـذا ضربٌ آخـرمن ضروب المبالغـة التـي تُساق الاستعارة لأجلها.

أو يقول *ومَنْ قصد الْبَحرَ استْقَلَّ السَّواقِيَا*

فيرسل العبارة كأنّها مَثَلٌ، ويصوِّر لك أن مَنْ قَصد ممدوحه استغنى عَمـن هو دونه، كما أن قاصد البحر لا يأبه للجداول، فيعطيك استعارة تمثيلية، لهـا روعـة وفيها جمال، وهي فوق ذلك تحمل برهانًـا عـلى صـدق دعـواه، وتؤيـد الحـال التـي يدّعيها.

أو يقول:

مـا زِلْـتَ تُتْبـعُ مـا تُـولِي يَـدًا بِيَـدٍ حَتّـى ظَنَنْـتُ حَيـاتِي مِـنْ أياديكـا

فيعـدل عـن التـشبيه والاسـتعارة إلى المجـاز المرسـل، ويطلـق كلمـة "يـد" ويريد بها النعمة؛ لأن اليد آلة النعم وسببها.

أو يقول:

أعـــادَ يَوُمـــكَ أيـــامِي لِنَـــضرتها واقْتَص جُودُك مِنْ فَقْري وإعساري

فيسند الفعل إلى اليوم، وإلى الجود، على طريقة المجاز العقلي.

أو يقول:

فـما جَـازَهُ جُـودٌ ولا حَـلَّ دُونَـهُ وَلَكـنْ يَـسير الجـود حيـث يـسيرُ

فيأتي بكناية عن نسبة الكرم إليه، بادّعاء أن الجود يسير معه دائمًا؛ لأنه بَدَلَ أن يحكم بأنه كريم ادّعَى أن الكرم يسير معه أينما سار، ولهذه الكناية مِن البلاغة، والتأثير في النفس، وحسن تصوير المعنى فوق ما يجده السامعُ في غيرها من بعض ضروب الكلام؛ فأنت ترى أنه من المستطاع التعبيرُ عن وصف إنسان بالكرم بأربعة عشر أسلوبًا- كلٌّ له جماله وحُسنه وبراعته، ولو تشاء لأتينا بأساليب كثيرة أُخرى في هذا المعنى؛ فإن للشعراء ورجال الأدب افتنانًا وتوليدًا للأساليب المختلفة المناحي في صفات أخرى كالشجاعة والإباء والحزم وغيرها، ولكنا لم نَقْصدِ إلى الإطالة، ونعتقد أنك عند قراءتك الشعر العربيَّ والآثارَ الأدبية ستجد بنفسك هذا ظاهراً، وسَتَدْهَش للمدَى البعيدِ الذي وصل إليه العقلُ الإنساني في التصوير البلاغيّ، والإبداع في صوغ الأساليب. (عن البلاغة الواضحة).

من خلال ما سبق عرضه يتضح لك أن جمال الصورة وفنيتها إنما يرجع إلى أمرين :

١- تعبيرية الصورة :

بمعنى قدرة المبدع على جعل الصورة معبِّرة عما يجيش بداخله من المعاني والأحاسيس أو ما يصوِّره من الأفكار ، وبقدر تعبير الصورة عن تلك المشاعر والأفكار وتصويرها لها تكون جودتها.

٢- عدم التنافر :

ويقصد بذلك :

١- عدم تنافر أجزاء الصورة التي تتألف منها .

٢- عدم تنافر الصورة مع الجوِّ النفسي ، أو المقام الذي تعبِّر عنه.

٣- تزاحم الصور بطريقة منفِّرة .

فمثال الأول قول كشاجم في وصف روضة:

وروضٍ عن صنيعِ الغيثِ راضٍ كما رضِيَ الصديقُ عن الصديقِ

ومثال الثاني قول المتنبي في مدح سيف الدولة وانتصاره على أعدائه :

نثرتهم فوق الأحيدبِ نثرةً كما نثُرت فوق العروسِ الدراهمُ

ومثال الثالث قول محمد بن أحمد العناني الدمشقي أبو الفرج:

واستمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت وردا وعضت على العناب بالبرد

فصل

(نصوص بلاغية)

النص الأول :

في التفريق بين الاستعارة بنوعيها والتشبيه والاستعارة التمثيلية

دلائل الإعجاز للجرجاني - (ج ١ / ص ٢٢)

"الاستعارة أن تريد تشبيه الشيء بالشيء، فتدع أن تفصح بالتشبيه وتظهره، وتجيء إلى اسم المشبه به فتعيره المشبه وتجريه عليه، تريد أن تقول: رأيت رجلاً هو كالأسد في شجاعته وقوة بطشه سواء، فتدع ذلك وتقول: رأيت أسداً. وضرب آخر من الاستعارة وهو ما كان نحو قوله: من الكامل:

إذ أصبحت بيد الشمال زمامها

هذا الضرب، وإن كان الناس يضمونه إلى الأول، حيث يذكرون الاستعارة فليسا سواء، وذاك أنك في الأول تجعل الشيء الشيء ليس به. وفي الثاني تجعل للشيء الشيء ليس له. تفسير هذا أنك إذا قلت: رأيت أسداً، فقد ادعيت في إنسان أنه أسد وجعلته إياه ولا يكون الإنسان أسداً. وإذا قلت: إذ أصبحت بيد الشمال زمامها فقد ادعيت أن للشمال يداً. ومعلوم أنه لا يكون للريح يد.

وهاهنا أصل يجب ضبطه، وهو أن جعل المشبه المشبه به على ضربين: أحدهما تنزله منزلة الشيء تذكره بأمر قد ثبت له فأنت لا تحتاج إلى أن تعمل في إثباته وتزجيته وذلك حيث تسقط ذكر المشبه من التشبيه، ولا تذكره بوجه من الوجوه، كقولك: رأيت أسداً.

والثاني أن تجعل ذلك كالأمر الذي يحتاج إلى أن تعمل في إثباته وتزجيته. وذلك حيث تجري اسم المشبه به صراحة على المشبه فتقول: زيد أسد، وزيد هو الأسد. أو نجيء به على وجه يرجع إلى هذا كقولك: إن لقيته لقيت به أسداً، وإن لقيته ليلقينك منه الأسد. فأنت في هذا كله تعمل في إثبات كونه أسداً أو الأسد، وتضع كلامك له. وأما في الأول فتخرجه مخرج ما لا يحتاج فيه إلى إثبات وتقرير. والقياس يقتضي أن يقال في هذا الضرب، أعني ما أنت تعمل في إثباته وتزجيته أنه تشبيه على حد المبالغة، ويقتصر على هذا القدر ولا يسمى استعارة.

وأما التمثيل الذي يكون مجازاً لمجيئك به على حد الاستعارة، فمثاله قولك للرجل يتردد في الشيء بين فعله وتركه: أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى. فالأصل في هذا: أراك في ترددك كمن يقدم رجلاً ويؤخر أخرى. ثم اختصر الكلام، وجعل كأنه يقدم الرجل ويؤخرها على الحقيقة، كما كان الأصل في قولك: رأيت أسداً: رأيت رجلاً كالأسد ثم جعل كأنه الأسد على الحقيقة.

وكذلك تقول للرجل يعمل غير معمل: أراك تنفخ في غير فحم وتخط على الماء، فتجعله في ظاهر الأمر كأنه ينفخ ويخط، والمعنى على أنك في فعلك كمن يفعل ذلك. وتقول للرجل يعمل الحيلة حتى يميل صاحبه إلى الشيء قد كان يأباه ويمتنع منه: ما زال يفتل في الذروة والغارب حتى بلغ منه ما أراد. فتجعله بظاهر اللفظ كأنه كان منه فتل في ذروة وغارب. والمعنى على أنه لم يزل يرفق بصاحبه رفقاً يشبه حاله فيه حال الرجل يجيء إلى البعير الصعب فيحكه، ويفتل الشعر في ذروته وغاربه حتى يسكن ويستأنس. وهو في المعنى نظير قولهم: فلان يقرد فلاناً، يعنى به أنه يتلطف له، فعل الرجل ينزع القراد من البعير ليلذه ذلك، فيسكن ويثبت في مكانه، حتى يتمكن من أخذه.

وهكذا كل كلام رأيتهم قد نحوا فيه التمثيل، ثم لم يفصحوا بذلك، وأخرجوا اللفظ مخرجه إذا لم يريدوا تمثيلاً."

النص الثاني

من روائع التشبيهات

دلائل الإعجاز للجرجاني - (ج ١ / ص ٢٩)

"ومما ندر منه ولطف مأخذه، ودق نظر واضعه، وجلى لك عن شأو قد تحسر دونه العتاق، وغاية يعيا من قبلها المذاكي القرح، الأبيات المشهورة في تشبيه شيئين بشيئين بيت امرىء القيس، من الكامل:

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً ... لدى وكرها العناب والحشف البالي

وبيت الفرزدق، من الكامل:

والشيب ينهض في الشباب كأنه ... ليل يصيح بجانبيه نهار

وبيت بشار، من الطويل:

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا ... وأسيافنا، ليل تهاوى كواكبه

ومما أتى في هذا الباب مأتى أعجب مما مضى كله قول زياد الأعجم، من الطويل:

وإنا وما تلقى لنا إن هجوتنا ... لكالبحر مهما يلق في البحر يغرق

وإنما كان أعجب لأن عمله أدق، وطريقه أغمض، ووجه المشابكة فيه أغرب."

النص الثالث

من أنواع التشبيه

أسرار البلاغة للجرجاني - (ج ١ / ص ٣٣)

اعلم أن الشيئين إذا شُبّه أحدهما بالآخر كان ذلك على ضربين :

أحدهما : أن يكون من جهة أمرٍ بيّنٍ لا يحتاج إلى تأوّل.

والآخر : أن يكون الشبه محصّلاً بضرب من التأوّل.

فمثال الأول: تشبيهُ الشيّ بالشيء من جهة الصُّورة والشكل، نحو أن يشبَّه الشيء إذا استدار بالكرة في وجه، وبالحلقة في وجه آخر وكالتشبيه من جهة اللّون، كتشبيه الخدود بالورد، والشَعر بالليل، والوجه بالنهار، وتشبيه سِقْط النار بعين الديك، وما جرى في هذا الطريق أو جمع الصُّورة واللون معاً، كتشبيه الثُّريّا بعنقود الكَرْم المنوَّر، والنرجس بمَدَاهن دُرٍّ حشُوهن عقيق، وكذلك التشبيه من جهة الهيئة نحو: أنه مستوٍ منتصبٌ مديدٌ، كتشبيه قامة الرَّجل بالرمح، والقَدِّ اللطيفِ بالغصن ويدخل في الهيئةِ حالُ الحركات في أجسامها، كتشبيه الذاهب على الاستقامة بالسَّهم السديد، ومَنْ تأخذه الأريحيّةُ فَيهتزُّ بالغصن تحت البارح، ونحو ذلك وكذلك كل تشبيهٍ جَمَعَ بين شيئين فيما يدخل تحت الحواسّ، نحو

تشبيهك صوتَ بعض الأشياء بصوت غيره، كتشبيه أطيطِ الرحل بأصوات الفراريج، كما قال:

كأنّ أصواتَ، من إيغالهنّ بنا ... أواخرِ المَيْس إنقاضُ الفَرَاريج

تقدير البيت كأن أصوات أواخر الميس أصواتُ الفراريج من إيغالهن بنا ثم فصل بين المضاف والمضاف إليه بقوله: من إيغالهن وكتشبيه صَرِيف أنياب البعير بصياح البوازي، كما قال:

كأنَّ عَلَى أنيابها سُحْرَة ... صِياحَ البَوازي من صَرِيف اللَّوَائِك

وأشباه ذلك من الأصوات المشبهة له وكتشبيه بعض الفواكه الحلوة بالعسَل والسُكَّر وتشبيهِ الليِّن الناعم بالخزِّ، والخشن بالمِسْحِ، أو رائحةِ بعض الرياحين برائحة الكافور أو رائحة بعضها ببعضٍ كما لا يخفى، وهكذا التشبيه من جهة الغريزة والطباع، كتشبيه الرجل بالأسد في الشجاعة، وبالذئب في النُكْر، والأخلاقُ كلُّها تدخُل في الغريزةُ نحو السَّخاء والكرمَ واللؤم، وكذلك تشبيه الرجل بالرجل في الشدة والقوة وما يتصل بهما، فالشبه في هذا كلّه بَيّنٌ لا يجري فيه التأوُّل، ولا يُفتقَر إليه في تحصيله، وأيُّ تأوُّل يجري في مشابهة الخدّ للورد في الحمرة، وأنت تراها ها هنا كما تراها هناك؟ وكذلك تعلم الشَّجاعة في الأسد كما تعلمها في الرجل.

ومثالُ الثاني: وهو أشبه الذي يَحْصُل بضرب من التأوُّل، كقولك: هذه حُجّةٌ كالشمس في الظهور، وقد شبّهت الحجةَ بالشمس من جهة ظهورها، كما شبَّهتَ فيما مَضَى الشيء بالشيء من جهة ما أردت من لون أو صورة أو غيرهما، إلا أنك تعلمَ أن هذا التشبيه لا يتمّ لكَ إلا بتأوُّل، وذلك أن تقول: حقيقة ظُهور الشمس وغيرها من الأجسام أنْ لا يكون دونها حجابٌ ونحوُه، مما يحول بين العين وبين رؤيتها، ولذلك يظهر الشيءُ لك إذا لم يكن بينك وبينه حجابٌ، ولا يظهر لك إذا كنت من وراء حجاب، ثم تقول: إن الشُبهة نظير الحجاب فيما يُدرَك بالعقول، لأنها تمنع القلب رؤيةَ ما هي شُبهة فيه، كما يمنع الحجاب العين أن ترى ما هو من ورائه، ولذلك تُوصف الشُبهة بأنها اعترضت دون الذي يروم القلبُ إدراكه، ويَصْرف فكرَه للوصول إليه من صحّةِ حكمِ أو فساده، فإذا ارتفعت الشبهة وحصل العلم بمعنى الكلام الذي هو الحجّة على صحّة ما ادُّعي من الحكم قيل: هذا ظاهرٌ كالشمس، أي ليس ها هنا مانعٌ عن العلم به، لا للتوقف والشكّ فيه مَسَاغٌ، وأنَّ المنكرَ له إمَّا مدخولٌ في عقله أو جاحدٌ مُباهتٌ، ومُسرف في العناد، كما أن الشمس الطالعة لا يَشكُّ فيها ذو بصرٍ، ولا ينكرها إلاّ مَنْ لا عذر له في إنكاره، فقد احتجتَ في تحصيل الشبه الذي أَثبته بين الحجّة والشمس إلى مثل هذا التأوّل كما ترى. ثم إنّ ما طريقُه التأوُّل يتفاوت تفاوتاً شديداً، فمنه ما يقربُ مأخذُه ويسهُل الوصول إليه، ويُعطَى المَقَادةَ طوعاً، حتى إنه يكاد يداخل الضرب

الأول الذي ليس من التأول في شيء، وهو ما ذكرته لك ومنه ما يُحتاج فيه إلى قدر من التأمّل، ومنه ما يدقُّ ويغمُض حتى يُحتاج في استخراجه إلى فضل رويّةٍ ولُطْفِ فكرةٍ. فمما يُشبه الذي بدأتُ به في قُرب المأخذ وسهولة المأتى، قوله في صفة الكلام: ألفاظه كالماء في السلاسة، وكالنسيم في الرِّقة، وكالعسل في الحلاوة، يريدون أن اللفظ لا يستغلِق ولا يشتبه معناه ولا يصعُب الوُقوف عليه، وليس هو بغريب وَحْشيّ يُستكرَه، لكونه غيرَ مألوف، أو ليس في حروفه تكريرٌ وتنافرٌ يُكَدُّ اللسانُ من أجلهما، فصارت لذلك كالماء الذي يسوغُ في الحلق، والنسيم يسري في البدن، ويتخلَّل المسالك اللطيفة منه، ويُهدي إلى القلب رَوْحاً، ويُوجد في الصدر انشراحاً، ويُفيد النفس نشاطاً، وكالعسل الذي يَلَذُّ طعمه، وتَهِشُّ النفس له، ويميل الطبع إليه، ويُحَبُّ ورودُه عليه، فهذا كله تأوّلٌ، وردُّ شيء إلى شيء بِضربٍ من التلطف، وهو أدخل قليلاً في حقيقة التأوّل، وأقوى حالاً في الحاجة إليه، من تشبيه الحجّة بالشمس، وأما ما تقوَى فيه الحاجة إلى التأوُّل حتى لا يُعرَف المقصود من التشبيه فيه ببديهة السماع، فنحو قول كَعْبٍ الأشقريّ، وقد أوفده المهَلَّب على الحجّاج، فوصف له بنيه وذكر مكانهم من الفضل والبأس، فسأله في آخر القصّة قال: فكيف كان بنو المهلب فيهم؟ قال: كانوا حُماة السَرْح نهاراً، فإذا أليْلُوا ففرسان البَيَات، قال: فأيُّهم كان أنجد؟ قال: كانوا كالحلْقة المفرغة لا يُدرَى أين طَرَفاها، فهذا كما ترى ظاهر الأمر في فَقْره إلى فضل الرِّفق به

والنظر، ألا ترى أنه لا يفهمه حقَّ فَهْمه إلا من له ذهن ونَظَرٌ يرتفع به عن طبقة العامّة؛ وليس كذلك تشبيه الحجّة بالشمس، فإنه كالمشتركِ البيّن الاشتراك، حتى يستوي في معرفته، اللبيبُ واليقِظُ والمضعوفُ المغفَّل، وهكذا تشبيه الألفاظ بما ذكرت، قد تجده في كلام العامي. فأمَّا ما كان مذهبه في اللُّطف مذهبَ قوله: هم كالحلقة، فلا تراه إلا في الآداب والحِكَم المأثورة عن الفضلاء وذوِي العقول الكاملة.وله: هم كالحلقة، فلا تراه إلا في الآداب والحِكَم المأثورة عن الفضلاء وذوِي العقول الكاملة."

النص الرابع

الفَرْقُ بين التشبيه الغريب وغيره

أسرار البلاغة للجرجاني - (ج ١ / ص ٥٦)

أسرار البلاغة - " هذا فن آخر من القول يجمع التشبيه والتمثيل جميعاً " ؛ اعلم أن معرفة الشيء من طريق الجملة، غيرُ معرفته من طريق التفصيل، فنحن وإن كنّا لا يُشكل علينا الفَرْقُ بين التشبيه الغريب وغير الغريب إذا سمعنا بهما، فإنّ لوضع القوانين وبيانِ التَّقسيم في كل شيء، وتهيئةِ العبارة في الفروق، فائدةً لا يُنكرها المميز، ولا يخفَى أن ذلك أتَمُّ للغرض وأشفى للنفس، والمعنى الجامع في سبب الغرابة أن يكون الشَّبَهُ المقصودُ من الشيء مما لا يتسرّع إليه الخاطر، ولا يقع في الوهم عند بديهة النظر إلى نظيره الذي يُشبَّه به، بل بعد تثبُّتٍ وتذكر وفَلْيٍ للنفس عن الصور التي تعرفها، وتحريكٍ للوهم في استعراض ذلك واستحضار ما غاب منه، بيان ذلك أنك كما تَرى الشمس ويجري في خاطرك استداراتُها ونورُها، تقع في قلبك المرآة المجلّوة، ويتراءَى لك الشَّبه منها فيها، وكذلك إذا نظرتَ إلى الوشي منشوراً وتطلّبتَ لحسنه ونَقْشه واختلاف الأصباغ فيه شبهاً، حَضَرَك ذكرُ الرَّوض ممطوراً مُفْتَرّاً عن أزهاره، متبسّماً عن أنواره، وكذلك إذا نظرت إلى السيف الصَّقيل عند سَلّه وبريق مَتْنِهِ، لم يتباعد عنك أن تذكر انعقاق

البرق، وإن كان هذا أقلَّ ظهوراً من الأوّل، وعلى هذا القياس، ولكنَّك تعلمُ أن خاطرَك لا يُسْرِعُ إلى تشبيه الشَّمس بالمرآة في كفّ الأشلّ، كقوله " والشَّمس كالمرآة في كفّ الأشلْ " ؛ هذا الإسراعَ ولا قريباً منه، ولا إلى تشبيه البرق بإصْبع السّارق، كقول كشاجِم:

أَرِقْتَ أم نِمْت لضَوءِ بارقِ ... مُؤْتِلقاً مِثلَ الفُؤَادِ الخَافقِ

كَأَنَّه إصْبعُ كف السَّارقِ

وكقول ابن بابك:

ونَضْنَضَ في حِضْنَي سَمَائِكَ بارقٌ ... له جِذْوةٌ من زِبْرج اللاَّذِ لامِعَهْ

تَعوَّجُ في أعلى السحابِ كأنَّها ... بَنَانُ يدٍ من كِلَّة اللاَّذِ ضَارِعَهْ

ولا إلى تشبيه البرق في انبساطه وانقباضه والتماعه وائتلافه، بانفتاح المُصْحف وانطباقه، فيما مضى من قول ابن المعتز:

وكأنَّ البرقَ مُصحَف قارٍ ... فانطباقاً مرَّةً وانفتاحَا

ولا إلى تشبيه سطور الكتاب بأغصان الشوك في قوله:

بشَكْلٍ يأخُذُ الحَرْفَ المحَلَّى ... كأن سُطورَهُ أغصانُ شَوكِ

ولا إلى تشبيه الشَّقيق بأعلام يَاقوت على رِماح زَبَرجِد، كقول الصَّنَوبريّ:

وكأنّ مُحمرَّ الشقي ... قِ إذا تصوَّب أو تصعَّدْ

أعلامُ ياقوتٍ نُشِرْ ... نَ على رماحٍ من زَبَرْجَدْ

ولا إلى تشبيه النجوم طالعات في السماء مفترقات مؤتلفات في أديمها، وقد مازجت زُرقةُ لونها بياضَ نورها، بدُرٍّ منثورٍ على بساطٍ أزرق، كقول أبي طالب الرَّقّي:

وكأنّ أجرامَ النُّجومِ لَوامعاً ... دُرَرٌ نُثِرْنَ على بِساطٍ أزرقِ

ولا ما جرى في هذا السبيل، وكان من هذا القبيل، بل تعلم أن الذي سبَقَك إلى أشباهِ هذه التشبيهات لم يَسْبِق إلى مَدًى قريب، بل أحرز غايةً لا ينالها غير الجواد، وقَرْطَسَ في هدفٍ لا يُصابُ إلاّ بعد الاحتفال والاجتهاد.

" تم بحمد الله "

السيرة الذاتية للأستاذ الدكتور/ عبدالحميد هنداوي

الأستاذ بكلية دار العلوم- جامعة القاهرة

الشهرة: عبدالحميد هنداوي

الاسم: عبدالحميد أحمد يوسف هنداوي

المولد : ولد في: مدينة القاهرة في ٢٤/ ٦/ ١٩٦٢

أبرز التخصصات:

١- علوم البلاغة العربية والأسلوبية الحديثة.

٢- علوم التفسير والحديث والشريعة الإسلامية .

٣- النقد الأدبي والأدب المقارن.

٤- العلوم اللغوية والعربية بعامة .

٥- التحقيق ومناهج البحث

قصة النشأة ومكانها:

ولد ونشأ في حي شعبي من أحياء مدينة القاهرة، وهو حي باب الشعرية، حيث التقاليد المصرية الأصيلة، والعادات الطيبة.

ونشأ في بيت علم حيث كان والده الشيخ أحمد يقرئ القرآن ويعلمه للكبار والصغار مع مبادئ علوم العربية في كُتّاب المسجد في الحي الذي نشأ فيه.

فعلمه أبوه مبادئ القراءة وشرع في تحفيظه القرآن الكريم من الرابعة، ولم يدخل المدرسة الابتدائية إلا وقد حفظ قدرًا لا بأس به من كتاب الله تعالى، وشغلته الدراسة حينًا عن إتمام حفظ القرآن، ثم أتم حفظه وأجيز فيه بقراءة حفص من الشيخ إبراهيم المناوي – رحمه الله.

ثم عاود الحفظ والاشتراك في مسابقات القرآن الكريم والبحوث الدينية في المرحلتين الإعدادية والثانوية حيث كان يفوز في جميع المسابقات، وكان أعلى جوائز هذه المسابقات: جائزة العمرة سنة ١٩٨٠م، ثم جائزة الحج في العام الذي يليه.

وشارك والده من المرحلة الإعدادية في تعليم القرآن للصبيان، وعمل في التدريس لأبناء المدارس بعد حصوله على الثانوية العامة وتفوقه فيها.

تزوَّج وله ستة أبناء ، ثلاثة ذكور ، وثلاث إناث ، عينت ابنته الكبرى جهاد معيدة بقسم الشريعة الإسلامية بكلية دار العلوم ، وولده عبد الرحمن معيدا بقسم الفلسفة الإسلامية بالكلية ذاتها، وولده الثالث عبد الله بكلية الهندسة ، وبقية أبنائه في مراحل التعليم المختلفة.

مراحل الدراسة وأماكنها والمؤهلات:

-تم تكريمه مع أوائل المراحل الدراسية المختلفة في الابتدائية والإعدادية والثانوية العامة بالقسم الأدبي سنة ١٩٨٠م.

-حصل على ليسانس دار العلوم بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى بترتيب الأول ١٩٨٤م.

-حصل على الماجستير في البلاغة العربية بعنوان (الطيبي وجهوده البلاغية) بتقدير ممتاز بالكلية ذاتها.

- حصل على دبلوم الدراسات العليا في قسم الشريعة الإسلامية سنة ١٩٨٥م بالكلية ذاتها.

-حصل على الدكتوراه في البلاغة العربية بعنوان: (التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة- دراسة نظرية تطبيقية) بمرتبة الشرف في ١٤/ ١١/ ١٩٩٦م بالكلية ذاتها.

- ماجستير الشريعة الإسلامية - الحوار مع الآخر. دراسة في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم (تحت الطبع).
- يعمل بتحضير دكتوراة الشريعة الإسلامية في السنة النبوية

الوظائف التي تدرج فيها في كلية دار العلوم – جامعة القاهرة:

- عين معيدًا بقسم البلاغة والنقد الأدبي والأدب المقارن بالكلية اعتبارًا من ٢٢/ ١/ ١٩٨٥م.
- عين مدرسًا مساعدًا بالقسم نفسه اعتبارًا من ٢٧/ ٢/ ١٩٩٢م.
- عين مدرسًا بالقسم نفسه اعتبارًا من ٢٥/ ١٢/ ١٩٩٦م.
- رقي لوظيفة أستاذ مساعد بالقسم اعتبارًا من ٢٤/ ٩/ ٢٠٠٣م.
- رقي أستاذا بالقسم بتاريخ ٢٢/ ١/ ٢٠١١
- عين رئيسا لقسم البلاغة والنقد الأدبي والأدب المقارن في ٢٦/ ٧/ ٢٠١٢

ثالثًا: أهم البحوث والمؤلفات العلمية في مجال العلوم اللغوية:

- أسلوب التكرار في القرآن الكريم في ضوء الدراسات الأسلوبية الحديثة (مع التطبيق على التكرار الصوتي)- نشر بصحيفة دار العلوم.
- الإعجاز الصوتي للقرآن الكريم- بالدار الثقافية- القاهرة.
- الإعجاز الصرفي للقرآن الكريم- المكتبة العصرية- بيروت.
- رعاية حال المتكلم في سورة البقرة (دراسة نظرية تطبيقية)- إيداع بدار الكتب رقم ١٣٧١٠/ ٢٠٠١.

- سورة النازعات (قراءة أسلوبية) بحث مرجعي أجيز ضمن بحوث الترقية.
- سورة ق (قراءة أسلوبية) بحث أجيز ضمن بحوث الترقية.
- سلسلة الدراسات الأسلوبية للقرآن الكريم (دار الآفاق - القاهرة)
- وتشمل:
- سورة الفاتحة
- جماليات سورة البقرة
- سورة ق
- سورة القمر
- سورة نوح
- سورة النازعات
- وجوه البيان في متشابه القرآن (تحت الطبع).
- جامع البيان في مفردات القرآن ٤ مجلدات مكتبة الرشد – السعودية
- جامع البيان في متشابه القرآن (تحت الطبع) ٥ مجلدات مكتبة ابن الجوزي – السعودية
- التضمين رؤية دلالية أسلوبية – بحث – آداب المنوفية
- اتساع المعنى وتعدده في القرآن الكريم – بحث – جامعة الطائف – السعودية
- الضمائر المعبرة عن الذات العلية دراسة أسلوبية
- جواب البديهة في النثر العربي القديم دراسة بلاغية أسلوبية

- معجم المتنبي : وضوح اللفظ وثراء الدلالة
- مستويات دلالة الكلمة بين البلاغة والأسلوبية
- متشابه التقديم والتأخير في القرآن الكريم دراسة بلاغية
- التوظيف الفني للعدول في النص القرآني
- رسالة الأدب في تراثنا النقدي بحث ألقي بمؤتمر دار العلوم الفيوم
- رسالة الأدب المقارن- نشر بصحيفة دار العلوم.
- الدلالة الفنية للأصوات- نشر بصحيفة دار العلوم.
- أنماط المفارقة في شعر أحمد مطر (دراسة نظرية تطبيقية)- إيداع بدار الكتب رقم ١٣٧٠٦/ ٢٠٠١.
- معالم على طريق النقد الأدبي (تأليف)- (مكتبة الثقافة).
- الأدب المقارن بين المفهوم والقيمة (تأليف)- (مكتبة الثقافة).
- علم البلاغة بين التنظير والتطبيق (تأليف)- (مكتبة الثقافة).
- أضواء على مسيرة البلاغة العربية (تأليف)- (مكتبة ا لثقافة).
- البلاغة بين التنظير والتطبيق (مع التطبيق على مباحث علم المعاني) (مكتبة ا لثقافة).
- التصوير الفني والتصوير البياني
- الإعجاز الأسلوبي في القرآن الكريم.
- **جامع الأصول في بلاغة الرسول ﷺ يجمع حلقات البرنامج الإذاعي (بلاغة الرسول ﷺ) التي قام بتسجيلها في بإذاعة القرآن الكريم على مدى أربع سنوات متتالية.**

- أشرف على موسوعة الفرق والمذاهب الإسلامية القديمة والمعاصرة.(دار التأصيل .مصر)
- أشرف على موسوعة المسلمة المعاصرة.(دار التأصيل .مصر)
- أشرف على الموسوعة الشرعية للمعاملات المالية والمصرفية.(دار التأصيل .مصر)
- اختير - ولا يزال – مستشارا علميا في موسوعة "السلام عليك أيها النبي " بمكة المكرمة ، وهي في حوالي (٥٠٠ مجلدا) تشتمل تقريبا على تفصيل كل شيء من أمور النبي ﷺ والوحي المنزل عليه.
- تيسير العقيدة للمسلم المعاصر. .(الصحابة بجدة والشارقة والتابعين بالقاهرة)
- الفراغ نعمه أم نقمة .(الصحابة بجدة والشارقة والتابعين بالقاهرة)
- الحياة الطيبة .(الصحابة بجدة والشارقة والتابعين بالقاهرة)
- قصور الجنة لمن .(الصحابة بجدة والشارقة والتابعين بالقاهرة)
- السهام القتالة فى الرد على صاحب الاستحالة .(الصحابة بجدة والشارقة والتابعين بالقاهرة)
- موسوعة الدار الآخرة .(الريان وعباد الرحمن.بيروت)
- أنين التائبين .(الريان وعباد الرحمن.بيروت)
- قلوب أسيرة الرحمن.(الريان وعباد الرحمن.بيروت)

- قلوب أسيرة الشيطان.(الريان وعباد الرحمن.بيروت)
- شرح رسالة الدروس المهمة لعامة الأمة .لفضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز (رحمه الله) (الريان وعباد الرحمن.بيروت)
- هؤلاء يحبهم الله ورسوله (الريان وعباد الرحمن.بيروت)
- منهج الدعوة في واقعنا المعاصر. (دار الآفاق. القاهرة).
- دراسات حول الجماعة والجماعات .(الصحابة : جدَّة ، التابعين : القاهرة)
- صفات يحبها الله ورسوله .(مكتبة الصفوة. القاهرة)
- رحلة الإسراء والمعراج .كتابة أدبية لقصة الإسراء والمعراج (مطبعة النصر .القاهرة)
- الإفحام لمن زعم انقضاء عمر أمة الإسلام .(الفضيلة . القاهرة)؟
- إلى الجنة .(مكتبة أبو بكر . القاهرة)
- النجاة من النار.(مكتبة أبو بكر . القاهرة)
- إيقاظ الهمم قبل يوم الندم .(مكتبة أبو بكر . القاهرة)
- الخوف من الله .(مكتبة أبو بكر . القاهرة)
- تذكير اليقظان بوظائف رمضان (دار الكتب العلمية – بيروت)
- الجامع لأحكام زكاة الفطر (مؤسسة أخبار اليوم)
- نصيحة الإخوان في معالجة السحر والجان . (مؤسسة أخبار اليوم)
- الجن والشياطين بين الخرافة واليقين. (مؤسسة أخبار اليوم)
- رحلة إلى الدار الآخرة . (مؤسسة أخبار اليوم)
- وفاة الرسول .(مكتبة العلم . القاهرة)

- رجال ونساء حول الرسول .كتابة أدبية لسير أصحاب النبي .
- موسوعة صفات الصحابة بين التنزيل والتطبيق . (تحت الطبع).
- الحوار مع الآخر. دراسة في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم رسالة ماجستير في الشريعة الإسلامية .دار العلوم(تحت الطبع).
- خامسًا: أهم الكتب المحققة في مجال التخصص:
- تحقيق جامع البيان في تفسير القرآن للإيجي – دار الكتب العلمية – بيروت.
- تحقيق موسوعة جامع البيان في مفردات القرآن – مكتبة الرشد – السعودية.
- تحقيق موسوعة جامع البيان في متشابه القرآن – مكتبة ابن الجوزي – السعودية.
- تحقيق شرح الإمام الطيبي على مشكاة المصابيح- (شرح بلاغي- ١٣ مجلدًا بالفهارس محقق على مخطوطات دار الكتب المصرية – مؤسسة نزار الباز- مكة المكرمة).
- تحقيق الميسر شرح مصابيح السنة للتوربشتي ٤ مجلدات مخطوط يصدر لأول مرّة. مؤسسة نزار الباز- مكة المكرمة).
- مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة المقدسي _ تحقيق وشرح وتعليق . (الريان وعباد الرحمن.بيروت)
- تنبيه الغافلين لابن النحاس تحقيق وشرح وتعليق . (الريان وعباد الرحمن.بيروت)

- مفتاح العلوم للسكاكي- (دار الكتب العلمية- بيروت- تحقيق جديد على ثلاث نسخ خطية).
- شروح التلخيص للخطيب القزويني ١٠ مجلدات (المكتبة العصرية- بيروت).
- التبيان في المعاني والبيان للطيبي- (مكتبة نزار الباز- مكة المكرمة).
- علم البديع وفن الفصاحة للطيبي- (مكتبة نزار الباز - مكة المكرمة).
- لطائف التبيان للطيبي- (مكتبة نزار الباز- مكة المكرمة).
- بلاغات النساء لابن طيفور- (مكتبة الفضيلة- مصر).
- تحقيق وترتيب معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (دار الكتب العلمية – بيروت).
- تحقيق معجم المخصص لابن سيدة (دار الكتب العلمية – بيروت).
- تحقيق معجم المحكم والمحيط الأعظم لابن سيدة (دار الكتب العلمية – بيروت).
- تحقيق ديوان الصارم القرضاب في نحر من سبَّ مكارم الأصحاب (مخطوط يحقق لأول مرة) – دار الآفاق – مصر.
- تحقيق ديوان ابن الوردي – دار الآفاق – مصر.
- تحقيق ديوان الخشاب – دار الآفاق – مصر.
- تحقيق شروح لامية العرب – دار الآفاق – مصر.
- تحقيق الجامع الكبير لابن الأثير – دار الآفاق – مصر.

سادسًا: الشعر والكتابات الأدبية :

- ديوانه الشعري (رحلة على جواد النفس) (نشر الدار الثقافية).
- (جواهر الأدب في كنوز كلام العرب)- (نشر الدار الثقافية).
- المجموعة القصصية الأولى (تحت الطبع)
- رجال ونساء حول الرسول ﷺ- (مكتبة الدعوة بالأزهر).
- الفراغ نعمة أم نقمة؟- (مكتبة التابعين).
- الإسراء والمعراج- (مكتبة أبي بكر).
- الحياة الطيبة (مكتبة التابعين).

سابعا : المؤتمرات والندوات والدورات والإجازات العلمية:

- حصل على إجازة في القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.
- اجتاز بنجاح دورة تحقيق التراث والمخطوطات بدار الكتب والوثائق المصرية يناير ١٩٩٢م.
- المشاركة في العديد من الندوات والمهرجانات الشعرية بديوانه الشعري .
- تم اختياره ضمن شعراء دار العلوم في الكتاب التذكاري المختار من شعراء الدار.
- مؤتمر جمعية لسان العرب في دورته المنعقدة بجامعة الدول العربية- سنة ٢٠٠١م.

- المشاركة في مناقشة ميثاق حقوق المرأة والطفل بهيئة الإغاثة العالمية- سنة ٢٠٠١م. (المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة).
- مؤتمر العربية وقرن من الدرس النحوي -دار العلوم- فبراير سنة ٢٠٠٣م.
- إلقاء العديد من المحاضرات العلمية والثقافية بالجامعات المصرية ،وكلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي.
- محاضرات عن الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم بنادي أعضاء هيئة التدريس - أغسطس سنة ٢٠٠٣م.
- حصل على دورات ToeFEL في اللغة الإنجليزية،
- حصل على دورات ICDL في الحاسب الآلي.

سابعًا: النشاط الإعلامي:

- حرر عددًا من المقالات بالمجلات والجرائد الرسمية، في جريدة الأخبار والأحرار وغيرهما من الصحف المصرية والعربية والمجلات والدوريات الإسلامية مثل مجلة التوحيد التي تصدرها جامعة أنصار السنة المحمدية بمصر ، وصحيفة دار العلوم وغيرها من الدوريات .
- كتبت عنه العديد من الصحف العربية مثل جريدة الأخبار المصرية و جريدة الوطن العمانية .

- نشرت أبحاثه ومؤلفاته العلمية وكتبه الدينية والأدبية وتحقيقاته التراثية في العديد من دور النشر العالمية في جميع أرجاء المعمورة.
- قام بتسجيل حلقات عديدة بإذاعة القرآن الكريم بالبرنامج الإذاعي (بلاغة الرسول ﷺ) على مدى عشر سنوات متتالية.
- قام بتسجيل حلقات عديدة بإذاعة أم القيوين في بلاغة القرآن الكريم والسنة النبوية والأحاديث الدينية العامة.
- سجلت سيرته الذاتية في لقاءات إذاعية بدولة الإمارات العربية.
- قام بتسجيل عدد من البرامج في التليفزيون المصري والقنوات الفضائية المختلفة.
- قام بإعداد عدد من البرامج لقناة المجد للحديث النبوي .
- نوقشت العديد من أبحاثه ومؤلفاته العلمية في العديد من مواقع الإنترنت .
- له موقع خاص للرد على الفتاوى ضمن لجنة فتاوى موقع الإسلام اليوم على شبكة الإنترنت.

ثامنًا: الجوائز والمسابقات:

- حصل على العديد من الجوائز منها:

١- جائزة جامعة القاهرة في تحقيق التراث .

٢- جائزة العمرة من وزارة الشباب والرياضة في القرآن الكريم والبحوث الدينية سنة ١٩٧٩م.

٣- جائزة الحج من وزارة الشباب والرياضة في القرآن الكريم والبحوث الدينية سنة ١٩٨٠م.

٤- رشحته الكلية بجلستها المنعقدة بتاريخ (١٨/ ١١/ ٢٠٠٣) لجائزة الدولة للتفوق.

٥- رشح من قبل مجلس كلية دار العلوم لنيل جائزة الدولة في الآداب سنة ٢٠٠٤م.

٦- رشح لنيل جائزة الأمير نايف بن عبدالعزيز في الدراسات الإسلامية المعاصرة.

تاسعًا: الإشراف العلمي:

- أشرف وناقش العديد من رسائل الماجستير والدكتوراة في العديد من الجامعات العربية منها :

١-الحركة النقدية حول البحتري.

٢-تأثير النصوص الدينية في الشعر العربي المعاصر.

٣-حروف المعاني وآثارها في النظم القرآني.

٤-جهود الدكتور "بدوي طبانة" البلاغية.

٥-الشعر العربي في إيران حتى نهاية القرن السابع الهجري (دراسة تحليلية نقدية).

٦-المكان وتوظيفه الفني في الرواية المصرية في النصف الثاني من القرن العشرين.

٧- - أشرف على العديد من الأعمال والموسوعات الشرعية والأدبية والثقافية بدار التأصيل منها:

١- موسوعة الأديان والفرق والمذاهب والحركات الإسلامية القديمة والمعاصرة.

٢- الموسوعة الثقافية للمسلم المعاصر.

٣- الموسوعة الثقافية للمسلمة المعاصرة.

٤- الموسوعة الشرعية للمعاملات المالية والمصرفية.

٥- موسوعة "السلام عليك أيها النبي"

جهات العمل داخل وخارج جمهورية مصر العربية :

١- كلية دار العلوم .جامعة القاهرة . مكان العمل الأصلي

٢- كلية الدراسات الإسلامية والعربية . دولة الإمارات العربية المتحدة.

٣- جامعة الطائف . المملكة العربية السعودية .

٤- مركز وموسوعة "السلام عليك أيها النبي" بمكة المكرمة.

٥- مؤسس ورئيس الجمعية المصرية للعلم والتوجيه الثقافي .

٦- التدريس في معهد المركز العام لدعاة التوحيد والسنة التابع لمسجد العزيز بالله بالزيتون . القاهرة .

٧- الإشراف العلمي بدار التأصيل السعودية بمصر.

٨- الكتابة بالصحف والمجلات والدوريات المصرية والعربية .

٩- ترجمت بعض كتبه إلى اللغة التركية .

١٠- برنامج بلاغة الرسول بإذاعة القرآن الكريم بالقاهرة .

١١- العديد من الأحاديث بإذاعة صوت العرب بالقاهرة .

١٢- العديد من الأحاديث بإذاعة البرنامج العام بالقاهرة .

١٣- العديد من الأحاديث بإذاعة أم القويين بدولة الإمارات العربية المتحدة .

١٤- أذيعت سيرته الذاتية في العديد من الأحاديث التي سجلت معه في إذاعة صوت العرب ، وإذاعة أم القوين.

١٥- العديد من البرامج حول مختلف القضايا عموما ، وبلاغة القرآن خصوصا في بعض قنوات التليفزيون المصري والفضائيات كالقناة الثالثة والتعليم العالي وقناة الناس والمجد وبيئتي وصفا والحافظ والخليجية والصحة والجمال والشباب والأمة وغيرها.

١٣ – له موقع خاص للرد على الفتاوى ضمن لجنة فتاوى موقع الإسلام اليوم على شبكة الإنترنت.

١٤– كتبت عن سيرته الذاتية وعن مؤلفاته العلمية العديد من مواقع الإنترنت .

١٥- الخطابة الدينية بمساجد وزارة الأوقاف المصرية ، والمساجد التابعة لجمعية أنصار السنة المحمدية ،وغيرها من المساجد.

١٦- نشرت كتبه بالعديد من دور النشر العالمية منها :

دار الكتب العلمية، والمكتبة العصرية- بيروت، ومكتبة الصحابة: جدة والإمارات، مكتبة التابعين: القاهرة- الفضيلة: القاهرة، مكتبة الدعوة: القاهرة، الهدى: الجيزة، مكتبة نزار الباز- مكة المكرمة – دار الآفاق مدينة نصر – مؤسسة المختار – البيان – الأزهر الشريف - مؤسسة الأهرام – أخبار اليوم وغيرها من المكتبات ودور النشر الكبرى.

محتويات الكتاب

مقدمة في التعريف بعلوم الفصاحة والبلاغة..... ص ٥

القسم الأول : التصوير الفني: ص٢٧

القسم الثاني : التصوير البياني : ص ٥٧

تعريف علم البيان: ص ٥٩

فن التشبيه : ص ٦٣

المجاز ص ١٠١

بلاغة الاستعارة ص ١٤٥

الكناية ص ١٤٨

أثر عِلم البيان في تأدية المعاني ص ١٦٤

معايير جمال الصورة وفنيَّتها ص ١٧٠

نصوص بلاغية ص ١٧١

رقم الإيداع
٢٠١٣/١٩٤٨٦
دار الهانى للطباعة والنشر
٠٢٤٤٤٤٢٠٥٥
elhanyhamdy@yahoo.com